9 me, année No 920

Le Caire 19 - 2 - 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ــــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٢٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ١١ جمادى الأولى سنة ١٣٧٠ — ١٩ فبراير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الانسانى

— ٤ —

للاستاذ عمر حليق

شغل (دير كهايم) فى إمعان وروية بالتعرف على الحقائق التى تسكن وراء القداسة والألوهية والمثل والقيم الإنسانية والمعانى الفاضلة التى تنطوى عليها

فأنكر أن المقدسات هى مجرد تعبيرات عن المؤثرات الخارجية المستمدة من البيئة والتاريخ ، كما أنكر أن تكون وليدة الوراثة بمعناها الواسع

فالقول بأن القداسة هى تعبير مستمد من البيئة والتاريخ ينفيه ما سجله (دير كهايم) من أنها (أى القداسة) رمز مستمد من الغريزة الفطرية . وفوق ذلك فإن تغيير البيئة واستمرار التطور فى تاريخ الفكر لم يذهب بالرموز القدسية والحياة الدينية المعبرة عنها

والادعاء بأن القداسة هى وليدة الوراثة وما اكتسبه الفرد عن أسلافه من ذخيرة فكرية واتجاهات عاطفية وطبائع أخلاقية لا يتفق وحقيقة الواقع فى عالم عناصر الوراثة فيه واسعة متشعبة تفاعلت فيها عدة مؤثرات ثقافية وعاطفية تسربت إليها من الخارج.

ومع ذلك فقد بقى جوهر القداسة سليما فى تأثيره الروحى والاجتماعى على سلوك الإنسان

فإذا سجلنا إذن على ضوء هذا الشرح أن وراء المقدسات حقائق راسخة ، وأن هذه القدسات (على تعدد أنواعها وألوانها) بالغة الأثر راسخة النفوذ فى السلوك الإنسانى؛ فإن لنا أن نبحث فى علاقتها بالحياة والأوضاع الاجتماعية

فالمثل والأخلاق التى تضبط سلوك الفرد تستمد سلطتها من الاختبار الدينى الذى قيد الفرد بنظم وقوانين يسير عليها فى علاقته بربه ومجتمعه. والثابت عندنا أن الله عز وجل (وهو قدس الأقداس) حقيقة راسخة ، وأن علاقة الفرد بربه علاقة منشؤها غريزة فطرية موهوبة وليست مكتسبة . فلنا إذن أن نبحث فى علاقة الاختبار الدينى بالمجتمع الإنسانى الذى وضع الله له نظما وقوانين وقيما أخلاقية

ووضع دير كهايم بعد هذا الاستنتاج كلمته الشهيرة : —

« إن الله (عز وجل) هو رمز المجتمع الصالح »

وثار بعض النقاد أول الأمر على كلمة دير كهايم هذه وخابت آمالهم فى رجل ابتدأ فى حماس يدافع عن روحانية الدين إزاء مادية الطبيعيين، ثم ما لبث أن خرج (فى رأيهم) باستنتاج أكثر مادية. فالمجتمع ملموس والله عز وجل حقيقة قدسية يدركها الناس بالعقيدة والإيمان فكيف يصح القول بأن الله جل جلاله رمز لشئ مادى؟

وقال دير كهايم وأنصاره إن هذه الثورة لا موجب لها . فالحقيقة الاجتماعية التى وضعها دير كهايم ليست من الأشياء

الطبيعية التي يلمسها الناس لـديم الصخرة والشجرة والحديد والماء؛ إنما هى « سلوك جماعى » يشترك فى التعبير عنه أفراد المجتمع كما لو كانوا فرداً واحداً . وأوضح دركهايم الفرق بين الفكر الفردى والفكر الجماعى (١) وقال بأن اختيارات الانسان الفردية الخاصة به وسلوكه النفسانى والروحى يختلف عن اختياراته متضامناً متكافلا مع أفراد الجماعة التى يعيش فيها ويشاركها الخير والشر . والمجتمع فى رأى دركهايم كيان لا وجود له إلا فى تفكير الفرد وشعوره

هذا الفكر الجماعى هو من أبرز ما اهتم به دركهايم فى معرض معالجته للدين والسلوك الانسانى، فاختيار الجماعة عند دركهايم حقيقة اجتماعية (٢) لا علاقة لها بالماديات التى تكلم عنها الطبيعيون

إذن فعلاقة الله عز وجل بهذه الحقيقة الاجتماعية ليست علاقة مادة ، والقيم والمثل الفاضلة التى جاءت بها التعاليم الدينية لم تقتصر على علاقة الفرد بربه وإنما شملت كذلك علاقة الكيان الاجتماعى بالعزة الإلهية ، وذلك لأن الفرد عضو فى الجماعة وسلوك الإنسان منفرداً يختلف عن سلوكه متضامناً مع الجماعة

وقد ركز أكثر المصلحين من أهل التقوى والإيمان اهتمامهم إلى سلوك الانسان الفردى وأهملوا معالجة سلوكه الجماعى . ولما كان هذا السلوك الجماعى مميزاً عن السلوك الفردى بصفات واتجاهات وطبائع ومشاعر خاصة فلذلك استوجب على المصلحين أن يقوموا أكثر فأكثر على توجيه السلوك الجماعى على ضوء التعاليم السماوية . وشرح دركهايم فى حماس كيف انه جعل اهتمامه أن ينفى الصبغة الطبيعية المادية من طبيعة السلوك الجماعى ويثبت صفاته ومميزاته الروحية

ثم ازدادت الحاجة إلى دراسة علم الدين الاجتماعى دراسة عملية وتعميمها والدعوة لنشرها ما وجد المصلحون لذلك سبيلا

وما لبث دركهايم أن وقع فريسة التطرف فى التحليل والتعليل والتعصب لآرائه شأن معظم الذين يكتشفون لونا جديداً من ألوان المعرفة فيندفعون فى حماستهم دون تريث ولا إمعان، متخطين فروع المعرفة الأخرى بالرغم مما فيها من عناصر وحقائق لا تقبل جدلا ولا إنكاراً

واندفع دركهايم فى أبحاثه ينادى بما لخواه أن وظيفة الدين الاجتماعية يجب أن تفوق وظيفته الروحية ؛ وهذا ما يستدعى فى نظر دركهايم أن يتحكم علم الاجتماع فى رقبة الدين وتعاليمه (١)

وقام باريتو (وهو مفكر إيطالى جليل الشأن) يصلح ما أفسده دركهايم بطريقة غير مباشرة . فأصر باريتو فى آرائه الضخم على أن سلوك الجماعة (السلوك الجماعى عند دركهايم) ينقصه فى أغلب الحالات الرشاد والإدراك الإيجابى الشامل بطبيعة الأشياء ومعانيها الكاملة . وأن من المستحيل أن يتحقق للجماعة فى سلوكها الرشد المنطقى (٢) والكمال العقلى فذلك السلوك غير منطقى كما اصطلح باريترو على تسميته (٣) ولذلك فتحكم علم الاجتماع (السوسيولوجى) فى رقبة السلوك الدينى مناف للمنطق السليم ؛ ذلك لأن علم الاجتماع يستمد عناصره من سلوك الجماعة ويبنى مبادئه واستنتاجاته عليها . وهذا السلوك كما أصر (باريتو) بينه وبين المنطق السليم صداقة مفقودة

لعل من المفيد أن نسجل هنا بأن دركهايم أخذ فيما بعد بوجاهة هذه الآراء التى بشر بها (باريتو) فعدل من تطرفه ثم أمعن فى دراسة « الحقائق المادية الملموسة » على ضوء فلسفة المعرفة ليثبت أن معرفة الناس للحقائق المادية لا يمكن أن تقرر على أساس المحسوس والملموس . وكان هدف دركهايم أن يثبت للطبيعيين أن استشهادهم بالحقائق المادية فى تهجمهم على الدين هو استشهاد باطل. فالناس لا يعرفون الأشياء بخواصها المميزة وأوصافها الطبيعية فحسب وإنما يعرفونها بالأفكار والمشاعر والإحساسات التى تؤثر بها تلك الأشياء فى سلوك الفرد والمجتمع

فالفلاسفة مثلا هم على نقيض العلماء الطبيعيين من حياتهم

---

(١) represent collective, représentation individuelle

(٢) fait sociale

(١) يعود هذا التطرف إلى الأصل لفلسفة الوضعية Positivism فى دركهايم إذ أنه وهو تلميذ « كونت » وورث مدرسته الفكرية يعد دعامة من دعائم هذه المدرسة الفلسفية

(٢) — يستشهد « باريتو » بطائفة من حوادث فى التاريخ الانسانى وحروبه وثوراته على صدق هذا الرأى

V. Pareto . Trattato di Sociologia Generale

(٣) non-logical action

(أى الفلاسفة) شغلوا بمصادر المعرفة فاذين الطرف فى أكثر الحالات عن العالم الطبيعى الذى يعيش الناس فيه

ومثل هذا الإهمال ينطبق بصورة عكسية على اتجاهات العلماء الطبيعيين الذين حصروا اجتهادهم فى التعرف على الحقائق المادية فى الأجسام والظواهر الطبيعية (الفيزيولوجية)

وكلا الاتجاهين ناقص فى رأى دوركهايم . فالكمال فى البحث العلمى لا يتم إلا بالتعرف على الحقائق الاجتماعية (١) التى لا يمكن أن تعد فى حساب الفلسفة وفى عداد الحقائق الطبيعية المادية لأنها ظواهر اجتماعية بينة بدرك الناس أهمية الدور الذى تطلبه فى مجرى السلوك الإنسانى

وفى رأى دوركهايم أن الفلاسفة يستمدون مادتهم الخام من هذه الظواهر سواء اعترفوا بذلك أم لم يعترفوا

وعلماء الطبيعة لم يتصبوا على معالجة الحقائق المادية إلا ونصب أعينهم توجيه هذه الحقائق الاجتماعية نحو قسط أوفر من الكمال . والعلماء فى انصبابهم على الحقائق المادية أهملوا التعرف على الحقائق الاجتماعية

هذا هو محور المنهج العلمى الذى استنبطه دوركهايم فأثار إعجاب الناس . والدارس لآثار دوركهايم يلمس صعوبة المدارج التى سلكها باحثا للتعرف على جوهر الدين والسلوك الانسانى . فالصلة بين الروح والمادة لا تتم إلا عن طريق الحقائق الاجتماعية ، وهذه الحقائق الاجتماعية ليست فى حد ذاتها مادة مجردة أو روحانية مجردة وإنما هى ظواهر تلعب دورا رئيسيا فى النظام الكونى . ويترك دوركهايم فى بلبلة فكرية إزاء هذا المنطق اللولبى ولكنه يمضى فى الدراسة والاستقراء والبحث والاستنتاج على أسس هذا المنهج العلمى وهذا المنطق اللولبى . فهو يقدر أن الفوضى فى السلوك الانسانى (فرديا كان أو جماعيا) لابد وأن تنتظم وتستقيم بفعل المعرفة الصحيحة للحقائق المادية . ولكن سيطرة الحقائق المادية على التفكير والسلوك الانسانى لابد أن تخلق عاجلا أو آجلا نوعا آخر من الغموض والاضطراب الروحى والنفسانى؛ ولا يحل هذه الأزمة إلا تدخل النظم الاجتماعية (أو الحقائق الاجتماعية فى لغة دوركهايم . والناحية الاجتماعية فى التعاليم الدينية من الأهمية بمكان عظيم لأنها تقوم بعمل مزدوج؛ فهى تعزز الغريزة الروحية من جهة ، وتصون الحقائق الاجتماعية من جهة أخرى. فإذا تسنى لرجال الدين والذين يحملون لواء الدعوة له أن يضيفوا إلى تراث الدين الروحى والاجتماعى مادة جديدة تستمد إقناعها من الحقائق المادية سياسية كانت أو اقتصادية أو تكنولوجية فانهم يساهمون بالقسط الأكبر فى تنظيم السلوك الانسانى تنظيما سليما يحقق سعادة الدارين

وأصبح دوركهايم سعيدا حين رأى المفكرين من رجال الدين والفلاسفة والعلماء فى أوائل هذا القرن على وجه الخصوص يتجهون أكثر فأكثر لدراسة هذا الثالوث من الحقائق الروحية والمادية والاجتماعية ، الأمر الذى دفع إلى الطليعة أهمية علم الاجتماع الدينى فى التفكير والسلوك الانسانى. وهذا الاتجاه يزداد أهمية وضرورة بازدياد الصراع بين المذاهب السياسية والاقتصادية المعاصرة التى جرت على المجتمع الانسانى ويلات الحروب وشر التفكك الاجتماعى ومرارة البلبلة الفكرية والنفسانية التى يعانيها المثقفون فى هذا العالم المضطرب بما فيه الشرق العربى

وثمة مزية أخرى فى مكانة الدين والدور الذى يؤديه فى السلوك الانسانى ، وأعنى به « النظام » وما ينطوى عليه من استقرار روحى وفكرى ومادى . وما تضارب النظم السياسية والاقتصادية المعاصرة شيوعية كانت أو رأسمالية أو فاشيستية إلا لاختلافها عن أوجه التنظيم وأسس المبادئ والوسائل التى تحقق النظام والاستقرار

فالنظم الديكتاتورية — وهى وليدة استيلاء المصلحين من بطء النحو التقدمى المجتمع وضعف الأداة لتحقيق النظام ومن ثم الإصـــلاح والتقدم والرفاهية — فاشلة فى محاولتهـــا هذه كما أثبت ذلك التاريخ الحديث والقديم لأنها وهى وليدة السلوك الفردى تحاول أن تكون تعبيرا للسلوك الجماعى . وشتان بين السلوكين كما أخبرنا دوركهايم

والديمقراطية (١) فى نظامها الحالى تدعى باطلا أنها تعبير

---

١ — راجع المقالة السابقة من هذا البحث فى عدد الأسبوع المنصرم من الرسالة

١ — نعنى بالديمقراطية هنا النظم السياسية والاقتصادية المعاصرة التى تناوىء النظم الديكتاتورية

الأمانة العامة ..!

للأستاذ محمد محمود زيتون

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل .. »
قرآن كريم

الأمانة فضيلة ، والفرد إنما يكتسب الفضائل من المجتمع الذى هو المصدر الأول لكل فضيلة ، فلا غرو إذا كانت « الأمانة العامة » بمثابة « الطاقة » التى تنبثق من أرجائها أشعة الحق والخير ، فتنعكس على الأفراد بالرضا والسعادة ، ومن هنا يتلمس طريق الإصلاح الشامل ومن أراد القضاء على المشاكل التى يصطلى نارها كل من الفرد والجماعة على السواء .

وقبل أن نفرض هذا العبء الأكبر على الفرد ، نرى أن المجتمع قد احتمله بطبعه ، بأن الضمير الاجتماعى هو المقياس السليم للحكم على الأمور التى تصدر عن الأفراد ، بل هو الحكمة التى لا نقض ولا إبرام لأحكامها ، فلا مناص من الرضوخ لها ، والانصياع إليها

والمجتمع هو « الأمين العام » على الحقوق والواجبات التى تنتظم بمقتضاها الحياة العامة ، فلا مفر من الاسترشاد بأوامره ، والإنصات إلى أصدائه الرنانة فى جوانب الفرد حين يصدق عليه قول الشاعر :

وتحسب أنك جرم صغير   وفيك انطوى العالم الأكبر

وتحقيق العدالة لطالبيها موكول أولا وبالذات إلى الأمانة العامة ، بعد أن تكون المنافذ قد سدت فى وجوههم ، فما هو إلا أن تعرض المظالم فى وضح النهار ، على سمع المجتمع وبصره ، وأن تجتمع الأمة المستنيرة يوما على باطل ، وأن تنأى بجانبها عن إنصاف من يستنصرها ، بكل سبيل مشروع ، وذلك هو الواجب الأول على الحاكمين والمحكومين على السواء ، فليس بنا إذن حاجة إلى هذه البدعة الجديدة التى يسمونها « وزارة المظالم » فإنها غير ذات موضوع ، من كل مجتمع مطبوع غير مصنوع

عن سلوك الجماعة ورغباتها لأنها حلت نفسها فوق ما تستطيع

والدولة فى النظم الديمقراطية المعاصرة قد فصلت نفسها عن الحياة الدينية . ومع أنها (أى الدولة) لم تقاوم السلوك الدينى فقد سلبته بعض أسسه الجوهرية ؛ فجردت برامج التعليم من المواد الدينية وتركت ذلك لمشيئة الفرد ، وجردت المعابد والمؤسسات الدينية من مواردها الرسمية وتركتها عالة على تبرعات المحسنين الذين يتأثر مبلغ إحسانهم بالتقلبات الاقتصادية التى لا تعرف نظاما ثابتا ولا تتقيد باستقرار

وحاولت الدولة الحديثة أن تقوم بأعباء الحقائق الاجتماعية التى كان يقوم بها الدين دون أن تستطيع تلك الدولة أن تندمج فى العلاقة الثالوثية التى شرحها دوركهايم وهى الروح والمادة والمجتمع . وكان من جراء ذلك هذا الفشل الذى أصاب الديمقراطية فى توفير النظام وتوطيد الاستقرار ؛ لا فى ناحية الروحية والنفسانية والفكرية فحسب بل حتى فى فروعه السياسية والاقتصادية كذلك

وحين يقف مفكر رزين كالأديب البريطانى ت . إس . إليوت [1] وغيره من المثقفين الممتازين ليناشد الدولة والمجتمع أن « يوفرا المعوزين الخبز قبل أن يوفرا لهم زجاجات الشمبانيا » لم يعن بذلك إلا ضرورة ربط الحياة الروحية بالحقائق الاجتماعية والترف المادى والعسكرى التى أغرمت به هذه الأيام الدولة وأصحاب الثقافة المادية من دعاة الإصلاح

فالمشكلة إذن مشكلة نظام يراعى الحقائق الروحية الدينية إلى جانب اهتمامه بالحقائق المادية فى حياة الفرد والجماعة

وحين يراعى المشرعون وأصحاب الحل والعقد والفرد والجماعة الحقائق الأصيلة فى هذا السلاح المثلث تكون الإنسانية قد لمست نقاط الضعف والقوة فى هذا الاضطراب المريع الذى يعيث فى مجتمع القرن العشرين فساداً

نيويورك   (التتمة)   عمر حليق

---

(1) T.S. Eliot — الذى نال جائزة نوبل للآداب منذ عامين

بهذا تستجيب الجماعة المرزة « البقاء الاجتماعي » التي تتطلب تنسيق الأعضاء من غير تناكر أو تنافر ، وبدون إفراط أو تفريط . وعندئذ تكون « العدالة » حقيقة جارية في الكيان العام ، غير محتاجة إلى توكيد وجودها ، أو البكاء على أطلالها ، وحسبها أن يطرد النمو اطراداً ثابتاً تكون فيه النسبة محفوظة على الدوام بين الجميع ، كخطوط العرض المتوازية التي لا تلتق أبداً على سطوح الأرض ، على الرغم من دورانها حول نفسها وحول الشمس ، وعلى الرغم من اختلاف الليل والنهار ، ما دام محور الأرض عموداً مستقيما على خط الاستواء بين الشمال والجنوب

إذن لابد من قوامين على العدالة حتى تختفي أشباح المظالم ، وتتوارى الهيا كل المتجبرة التي تبتغي العلو في الأرض بغير حق ، فلتكن العيون اليواقظ متنبهة لتحذير المتنبي إذ يقول :

نامت نواطير مصر عن ثعالبها حتى بشمن وما تفنى العناقيد

ونحن إنما ننشد لمناقيد الحق ، هذه « النواطير » لا تلك « الطراطير » ، ويومئذ ينقطع دابر كل ثعلب يتسلل نهاراً جهارا إلى كل كرمة نام عن جناها ، من بيده سقاها ورعاها . والذي نخشاه هو أن يتوا كل الجميع يوم يتبدل الثمر الحلو في أفواههم مرا لا يذاق ، فيصبح المرء لا يرى بعد ثعالب العنب ، إلا طيور الحنظل ، فلا يهش ولا ينش ، وإنما يقول وقد عبس وتولى :

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

أما إذا خشينا انهيار الصرح المعظم الذي بنيانه المرصوص مؤتلف من الآحاد والعشرات ، أو الأفراد والجماعات ، فما علينا إلا إجراء عملية « العقل البشري » على الدوام ، لتنحت من الغرائز المحجرية قوالب متساوية ، تنبض بالحياة ، وينسجم بها البناء المتساوي السيقان ، فلا يكون به نتوءات أو مغارات تأوي إليها حشرات الفساد ، حيث نريد الإصلاح

والتعهد المستمر للنفوس ، يزيدها صقلا ولمانا ، ويكسبها كذلك مناعة طبيعية من الانحلال الخلقي ، فلا تفسد مع الأهواء الطارئة ، ولا تنحدر مع التيارات الجارفة ، ولن يكون هذا التعهد ضامناً إلا بالأخذ من معالم القوة والعزة ، ومعارف الخير والحق ، مما يحمل الدين والآداب والتاريخ والعرف والقانون تسير جميعاً بالدارسين نحو تدعيم الأمانة العامة ، وتقوية أركانها ، لترتفع في أعاليها رايات العدالات في مختلف أحجامها ، ومتباين ألوانها وأجناسها

وليس يكفي أن تكون عين العدالة في يقظة لتحقق الأمانة العامة ، وإنما ينبغي أن تمتد يدها بالبطش إلى الجريمة ، وإلا أفلت اللص بما سرق ، وذهبت صرخات المطاردين أدراج الرياح ، كما أنها تستلزم الفطنة في التمييز بين السارق والمسروق ، فقد تقبض بيد الحديد على برئ ، وتطلق سراح أثيم خادع الأمين العام فاندس في صفوف المطاردين ، وهم يترا كضون خلف السارق المزعوم ، فلما أعياهم اللحاق به نكص هو على عقبيه ، ليقتسم الأسلاب مع الأبالسة

وهيهات أن تتسرب شاذة أو فاذة من الأمانة العامة ، إذا ألقت شبا كها في الماء العكر ، فهي إنما تتعقب كل من يعكر صفو السلام ، مهما يكن لونه ومقامه ، وإلا فإن قطع ذنب الأفعى لا يغني عن رأس الفتنة شيئاً . والجرائم لا تتكاثر إلا إذا كانت درجة الحرارة مناسبة والمكان صالحا ، وعندئذ يتعسر الداء ، ويتعذر الدواء

ولما كان الخط المستقيم هو أقصر طريق بين نقطتين ، فإن الأمانة العامة هي أقوم خط بين الحق والباطل ، وليس بينهما منطقة اشتباه ، « فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال . » وليس حولها كذلك إلا صحارى العدم ، « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . . . » ، ولهذا كان التمادي في الانحراف خيانة طامة ، عواقبها غير مأمونة

وليس أخون من تنحية الجندي عن صفه ، وتعطيله من سلاحه ، واتهامه بعد ذلك بالتخلف عن كتائب الجهاد ، ليحرم من مكانه في مواكب النصر ، وهو الهاتف :

سلاحي إيماني المتيد ، وقائدي

ضميري ، وأجنادي من الشيم الغر

وهنا ننتظر الساعة التي فيها تتحطم الأهرام الثقيلة على قاليها ، ويومئذ يندمون على انصرافهم عن هدى « الأمين » المأمون عليه الصلاة والسلام إذ يقول : « إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة . قيل : فكيف إضاعتها يا رسول الله ؟ قال : إذا أسند الأمر إلى

غير أهله فانتظر الساعة »

وما كان أجدر أصحاب الحقوق بحقوقهم حتى يستقيم الطريق، ويعتدل الميزان ، وتعلو أصواتهم بالفخر المنون :

وإذا الأمانة قسمت فى معشر أوفى بأوفر حظنا قسامها

وويل للقطيع الذى يشرد منه القاصى والناحى ، فيصبح غنيمة باردة ، تفرى أشلاؤها كل وحش صال بالاصطياد من تحت الربع . هكذا المجتمع الذى يغفل عن رسالة « الرشد العام » و « الراعى الأمين » عليه السلام ، إذ يقول « إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأكل الشاة القاصية والناحية ، فإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد »

ولو عرف كل امرئ قدر نفسه ، لوضع نفسه حيث يجب أن توضع ، غير طامع فى العلا إلا بالحق والدور ، وغير متظلم إلا من الهضم والجور ، وبين يديه مؤهلات الشاعر الغيور :

متى تحمل القلب الذكى وصارما
وأنفا حميا تجتنبك المظالم

وأف لمن يتخذ أكتاف الكرام سلماً لمآربه ، يتنقل عليه من حزب إلى حزب ، ليسود ، وما كان ليسود لأن الحياء من الإيمان ، والرفعة من التواضع ، أو كما قال من قال :

سدت الجميع فسدت غير مسود
ومن البلاء تفردى بالسؤدد

وهل أوتى الوضيع هذا السلم الرفيع إلا فى غفلة من الرقيب العام ، يوم كانت الدولة لأقارب المتربع على الكرسى ، يؤثرهم — للعصابة والقرابة — على من لهم الحق قبلهم ، وهنا ينطق « أمين من فى السماء » بقول الحق « من استعمل رجلا من عصابة ، وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين »

هذا بينما الأصيل الكادح ، يئن تحت كل فادح ، ويقول فى مرارة :

وإذا تكون مهمة أدعى لها
وإذا يحاس الحيس يدعى جندب

وليس من الفضائل أحق بالصدارة من الأمانة لأنها جهاد النفس ، وصراع الغرائز ، وإبطال الباطل ، وإحقاق الحق .

طلع رجل على النبى وهو جالس بين صحبه فقال « يا رسول الله ، أخبرنى بأشد شئ فى هذا الدين وألينه ، فقال عليه السلام : ألينه : أشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . وأشده يا أخا العالية : الأمانة . إنه لا دين لمن لا أمانة له ، ولا صلاة له ، ولا زكاة له »

والحياة الإنسانية ما هى إلا مجموعة من « أحكام القيم » نصدرها على ما يقع فى نطاق الحق والخير والجمال ، ولا محيص من إعلان هذه الأحكام حتى يكون لكل عمل إنسانى الحق فى الثواب والعقاب ، أو الاستحسان والاستهجان ، وذلك من أمارات الحيوية الاجتماعية

قال أبو بكر الصديق : أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » وإنى سمعت رسول الله يقول « إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يده أوشك الله تعالى أن يعمهم جميعاً بعقاب »

وما كان أحرص من رسول الله على الصرح الاجتماعى ، والوحدة الشاملة ! وما كان أشد استمساكا بالعروة الوثقى ، واعتصاماً بحبل الله حين يقول : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه ، فليصبر عليه ، فإنه من خالف الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية »

وبعد، فإنه إذا كان « دوركايم » اليهودى أول واضع لقواعد علم الاجتماع حين قال بنظرية « التماسك الاجتماعى » La solidarité sociale فإن محمداً عليه السلام كان أسبق المفكرين جميعاً إلى وضع الدستور العام المستمد من الحياة الإنسانية فى إمكانياتها العامة ، وإذا كان قد عرف أول ما عرف بين قومه بالأمانة قبل بعثته ، فإنه كان الأمين الأول على مقدرات المجتمع فى كل زمان ومكان ، فمن أين تنفذ نظرية « الماركسية التاريخية » من هذا التراث الفولاذى الخالد الذى يكرم البشرية ويعصمها من مهاوى الزلل ، بفضل « الأمانة العامة » وقد أعلى منارتها « كبير الأمناء » الذى أرسله ربه رحمة للعالمين

وعسى أن يكون واضحاً الآن أن الأمانة إنما هى رسالة المجتمع قبل أن تكون فضيلة الفرد، وأنها الكنز القديم المدخر للإنسانية منذ الآزال حتى الآباد، وصدق الله تبارك اسمه إذ يقول « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » إى والله إنه كان ظلوما جهولا!

محمد محمود زيتونه

رأى في تحديد العصر الجاهلي

بحث قدمه إلى مؤتمر المجمع اللغوي

صاحب العزة ابراهيم مصطفى بك

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

بقية ما نشر في العدد الماضي

ولا نذكر التجاء اليمن إلى الفرس أعداء الروم ولا استمدادهم لنصيب من حكم بلادهم ولا سعى الفرس لبسط سلطانها عليهم، وإنما نذكر أن بلاد العرب خلت من دولة تحكمها وتؤمن سبلها وتحمى تجارتها ووقعت في فوضى نرى بعض صورها في شعر كشعر الحارث بن حلزة إذ يقول:

هل علمتم أيام ينتهب النا ... س غواراً لكل حى عواء
لا يقيم العزيز بالبلد السهـ ... ل ولا ينفع الذليل النجاء
ليس ينجى موائلا من حذار ... رأس طود وحرة رجلاء

فهذا عندنا حد العصر الجاهلي العربي وتلك سماته التي أوحت إلى الشاعر القديم أن يقول:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

وإذا نظرنا إلى الجزيرة العربية في هذا القرن وجدنا آثار المـكرات اليمنية ومعاقلها مبعثرة في أنحاء الجزيرة

بنو الحارث بن كعب في جنوب الحجاز وكانوا يلقبونهم ملوكا، والأوس والخزرج في شماله، وفي نجد طى وكلب وملوك كندة — وفي عمان الأزد، وفي تخوم العراق المناذرة، وفي مشارق الشام الغساسنة، وكلهم ينتسبون إلى اليمن وقد نشبت الحروب بينهم كل يريد الملك لنفسه كما فعل قواد الاسكندر في ملكه الواسع من بعده. وثار العرب من غير اليمن وهم العدنانيون وتطلعوا إلى الاستقلال والتفرد بالسلطان، واشتعلت الحرب بين العدنانيين واليمنيين وبين العدنانيين والعدنانيين — ونهض كل مغامر طموح، وطمعت كل قبيلة ذات قوة أن تستبد بالسلطان وغلبت عليهم حمية العداوة والثأر ومضى شعراؤهم يتغنون بفظائع الحرب

وحليل غانيـة تركت مجدلا ... تمكو فريصته كشدق الأعلم
فشككت بالرمح الأصم جنانه ... ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع ينشنه ... ينحضن حسن بنانه والمعصم

* * *

كأن جماجم الأبطال فيها ... وسوق بالأماعز يرتمينا
نحز رؤوسهم في غير بر ... فما يدرون ماذا ينفرونا

ولـكن حياة العرب — كما قدمنا — تعتمد على التجارة ورزقهم منها ولابد لهم أن يتجروا ليعيشوا — والأثر الوارد: تسعة أعشار الرزق من التجارة. والرسول كان منذ الصبا تاجراً وأبوه وعمه وجده تجار، وزوجه خديجة ترسل في التجارة أموالها وبسبب من التجارة كان زواجها — وأبو بكر وعمر وعثمان تجار، وما شئت من وجوه الصحابة وأشراف العرب كانوا يعملون في التجارة

واللغة نفسها تحمل أثر التجارة وغلبتها على أعمالهم؛ فالإيمان تجارة لن تبور، وتجارة تنجيكم من عذاب أليم، والله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة. والمؤمنون لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله. وعهد الخلافة بيعة

فلابد لهم من التجارة ليعيشوا ويرتزقوا. ولا مناص لهم من الحرب ليثأروا ويتسلطوا، وهنا عظمت شعائر الأشهر الأربع الحرم وشاعت البيوت المحرمة الآنية وكان أبعدها بيت قريش بمكة، وحرم الله الذى امتن به القرآن على قريش «أو لم يروا أنا جعلنا لهم حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم»

وبدت عادة التحالف وتضام بعض القبائل إلى بعض والحرص على العهد والوفاء بالعقد

واذكروا حلف ذى المجاز وما قد ... م فيه — العهود والكفلاء
حذر الطيش والتعدى وهل ... ينقض ما في المهرق الأهواء

وبدت نغمة التحذير من الحرب والثناء على السلم وتمجيد مساعيه

يمينا لنعم السيدان وجدتما ... على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما إن ندرك السلم واسعا ... بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خير موطن ... بعيدين فيها من عقوق ومأثم

* * *

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتضر إذا ضريتموها فتضرم

والشعر لزهير في معلقته . وولداه كعب وبجير قد اقتفيا المصطفى وآمنا به

فهذا تحديد العصر الجاهلي وتلك ملامحه ومعالم حوادثه، يبتدئ بفقد حكومة البلاد وضياع أمنها واضطراب نظامها في سنة ٥٢٥ وينتهي بقيام الحكومة التي تقر السلام وتنشر الأمن في سنة ٦٢٢

وما بينهما عصر الجاهلية والفوضى والتناحر على السلطان

ومنذ بدا لي هذا الرأي جعلت أحتبره فيما أقرأ من أخبار فأرى حوادث الجاهلية تجري في حدوده منسجمة متسقة متصلة يوضح بعضها بعضا

وأجد من الشواهد في تواريخ الأمم المجاورة ما يؤيده

فالغساسنة كانوا يتاخمون الروم في الشام قبيل الإسلام ولهم مع الدولة البيزنطية صلات مدونة نرى أنها مرت بحالتين : صلة الجار المجاور الذي يسالم ويحارب، وصلة التابع الذي يستمد ولايته الشرعية بتوليته غيره

وللمستشرق العظيم نلدكه بحث في تاريخ أمراء غسان كتبه وهو شاب لينال به الدكتوراه ثم رجع إليه بالتحقيق بعد النضج وبعد ما ظهرت مستندات من تأليف المعاصرين ومن السجلات الرسمية في الكنائس وغيرها — وقرر أن أقدم اتصال للغساسنة ببيزنطة اتصال التابع المستعين كان في زمن الحارث الأكبر من سنة ٥٢٩ إلى سنة ٥٦٩ إذ أنعموا عليه ثم على ولده من بعده بلقب بطرق وهو لقب حكام الأقاليم عندهم. وتفسير ذلك عندي أن الغساسنة وهم يمنيون كانوا يستمدون سلطانهم من دولتهم اليمنية ويجاورون الروم مجاورة الجار قد يسالم وقد يحارب؛ فلما زالت دولة اليمن وجاءهم الحرب من حيث كانوا يلتمسون العون اضطروا إلى الاستعانة بالروم واستمداد السلطان منهم. ونعلم أن العربي لا يقبل هذا إلا بعد القهر والقسر

وفي بلاد تخوم العراق كان المناذرة ملوك الحيرة وكان لهم اتصال بملوك الفرس من آل ساسان

ونقرأ من أخبارهم أن « يزدجرد » أرسل ولده « بهرام » ليتربى في بلاط المنذر بالحيرة

وأن « يزدجرد » لما مات ثار الفرس رافضين أن يتولى أحد من أولاده لما كانوا يكرهون من حكمه؛ وأن بهرام استعان بالمنذر ووالده النعمان في جيش قدروه بثلاثين ألفاً وبهم تمكن من الجلوس على عرش أبيه، ولا أرى في هذا صورة التابع الخاضع، وقد كان ذلك سنة ٤٢٠

ولكن في زمن كسرى أنوشروان نرى المنذر الثالث يتولى السلطان من يد كسرى، وحكم كسرى من سنة ٥٣١ إلى سنة ٥٧٨ والمنذر قتل في واقعة محددة التاريخ سنة ٥٥٤ واستمر الأمر على ذلك يولي الفرس حاكم الحيرة من المناذرة — وربما ولوه من غيرهم كما ولوا عليها إياس بن قبيصة الطائي

فهذه أسرة يمنية أخرى تبدلت طبيعة اتصالها بجارتها بعد أن سقطت دولة اليمن سنة ٥٢٥

وفي داخل الجزيرة كان امرؤ القيس آخر ملوك كندة وقد حاربه المنذر الثالث وحارب أسرته زاعما على الملك وقتل كثيراً من أمراء كندة صبراً ويبكيهم امرؤ القيس فيقول :

ملوك من بني حجر بن عمرو ... يساقون العشية يقتلونا
فلو في يوم معركة أصيبوا ... ولكن في ديار بني مرينا
فلم يغسل جماجمهم بغسل ... ولكن في الدماء مرملينا
تظل الطير عاكفة عليهم ... وتنتزع الحواجب والعيونا

وإذا كان المنذر يستند إلى سلطان الفرس فإن سبيل امرئ القيس أن يستعين بمنافسيهم الذين ينازعونهم الرغبة في التسلط على البلاد العربية وهم الروم ويقصد في ذلك إلى الحارث بن جبلة والحارث كما علمنا ولي من سنة ٥٢٩ إلى سنة ٥٦٩

وهكذا نرى أن ما نكشف من تاريخ الحوادث يؤيد ما بدا لنا من التحديد

فإذا تقرر تحديد العصر الجاهلي على هذا الوجه فتح الباب لدرسه دراسة قوية؛ وكان ما بأيدينا من الشعر المروي مدداً كافياً لتنوير هذا العصر وتوضيحه

فإذا أخذنا قبيلة واحدة مثل قبيلة بكر وهي أخت تغلب وكلتاهما من وائل — ووائل فرع من فروع ربيعة

إذا أخذنا هذه القبيلة وجدنا أنا نروي لأكثر من خمسين شاعراً من شعرائها بينهم نحو عشرين يمكن أن يكون شعر الواحد منهم ديوانا؛ وخمسة لهم دواوين مطبوعة متداولة بأيدينا وهم

خطرات وذكريات

في التفاؤل والتشاؤم

للأستاذ منصور جاب الله

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذمم التشاؤم ويبدئ القول ثم يعيده في تهجينه وتشنيعه، إذ كان الإسلام قريب عهد بالجاهلية، وكان للتفاؤل والتشاؤم دولتهما في تسيير شؤون الناس. وكان عليه الصلاة والسلام خبيراً بطبائع الناس وأمور معايشهم، وإذ بصر بالتطير يتهم شائماً في الخطب الجسام وفي الأمر الدون نهى عنه وبغضه تبغيضاً شديداً، حتى لقد قرن التشاؤم بوقوع الشؤم ذهابا مع ما يستشعره الوجدان من خفي النوازع ومتضارب الخوالج، ثم يكون عليها بعد ذلك من صميم الواقع شهيد

وللرسول الأعظم أحاديث كثيرة في ذم التشاؤم مبثوثة في الأسانيد الصحاح، وإنها لخير مرجع للرائد والباحث في علوم النفس

ولقد كان للتفاؤل والتشاؤم أثرهما في حياة الكثير من أعيان الأدباء والساسة. وعرف عن ابن الرومي أنه كثير التطير والتوجس فأغرت به هذه النميزة من الضعف عداته وحساده، وطوعت لهم أنفسهم أن يتخذوا له من هذه الرذيلة مقتلا يفوقون من خلاله سهام حقدهم وكيدهم، ويغيظونه ويردونه عن مكاسبه، فكانوا إذا أرادوا به كيداً أرسلوا إليه من يتطير باسمه، فظل الرجل نهاره ثاويا في داره لا يبرحها وحوله أولاد جياع وأكباد تحن إلى القدر

ولقد انفسحت رقعة الحضارة واستقام ميزانها، وارتفعت العلوم وانبسط رواقها، وانفتقت الأذهان إلى غاية مداها، ولكن النفوس بقيت مطوية على ما كانت عليه قبل عهد ابن الرومي وقبل أعصار الجاهلية من التطير وعكسه، والإيمان بهما إيمانا أعمى ليملك على الإنسان نفسه من سائر أقطارها

ذلك لأن التفاؤل والتشاؤم منزعان من منازع النفس البشرية جبلت عليهما فأصبحا من تلك العاد التي تتعلق بالفطر والطباع، وأمسى أمرا كتناهما مما يعمى الأفهام ويتيهم على العقول. وليس يمكن الوصول إلى تجريد النفس من التطير مما ترى فيه نحسا ولو على سبيل التظني والتوهم، إلا إذا يسر النفاذ إلى مداس الخوالج النفسية، وهان الوصول إلى أعمق ما يتحرك به الحس في أطواء الروح، وهذا ولا ريب من بعض المحال. وهيهات أن يبلغه عقل بحال من الأحوال!

للتفاؤل والتشاؤم دوافع وأسباب قد تنحدر في أصلابها إلى ما يقترن بالواعية الباطنة، أو ماوراء الوعي كما يقول علماء النفس، أو ترتد إلى مراجع أخرى لها مقوماتها في علم النفس التجريبي، وهذا مالا نجرؤ على القول فيه في كثير ولا في قليل لئلا يزل القلم ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه

وواقع الأمر أن المرء ما يستطيع مدافعة التطير يوحي من عقله الواعي إلا على مضاضة وعلل وبرم، كذلك الإنسان إذا عراه ما يضحك فلابد له من الاستضحاك، أو دهاه ما يبكي فلا عليه من الاستعبار. وإذا هو كبح جبوره كبحا، أو كبت نشيجه كبتا فهو معاني الأمرين بغير مشاحة. وكثير من الناس يتطيرون ويسرفون في الطيرة ويحسبون أنهم مانعهم تشاؤمهم من وقوع الشؤم وهو لا يغني عنه شيئا. وفي التطير ما فيه من الثورة بالقدر والاعتراض غير المجدي على حكمة الخالق، وتشنيء ما قضى به جل وعلا. ولعل هذا المعنى هو ما قصد إليه سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام

عمرو بن قميئة وطرفة بن العبد والخرنق أخته والمتلمس والأعشى

وهو قدر كفيل أن يهدينا إلى معرفة واضحة لأحوال تلك القبيلة

وإذا درست على هذا النمط كل قبيلة وتضامت أخبار القبائل ووضح بعضها بعضا أمكن أن يكون بأيدينا تاريخ لهذا العصر أوضح وأصح وأثبت من هذه الروايات المبعثرة المشوبة بكثير من الخيال والمبالغة

إبراهيم مصطفى

والتفاؤل هو الجانب الإيجابي الآخر ، ولا يذهب في الضرر البالغ مذهب التشاؤم إلا إذا أسرف فيه إلى حد يصيره إلى غاية الهوس أو الركون إلى الحياة الرتيبة الكسلى ، أو التسليم بالأمر الواقع تسليما يؤدي بالمجتمع إلى التداعي والخور ، وعلى أي الحالين واجب الإنسان أن يكون قواما بين التفاؤل والتشاؤم، وعدلا بينهما ومقسطا ، فلا يسرف في جانب ولا يقتر في جانب ، وإلا فالضرر واقع لا محالة

* * *

وليس ما تقدم به الكلام تمهيداً بين يدي بحث علمي فالنا في هذا المجال يدان ، وإنما هو تقدمة لبعض ما يتصل بموضوع التفاؤل والتشاؤم ، فلقد عبرت بي حوادث جمة في هذا السياق ، عفى الزمان على الكثير منها وبقى في لوحة الذاكرة نزر يسير . وما أنس لا أنس حادثين وقعا لي مع بعض أصدقائي في زمنين متفاوتين ، وكان في نفسي منهما أثران قويان ، أحدهما إيجابي والآخر يميل إلى الجانب السالب ، وإني لمثبتهما فيما يجئ من السطور

في إحدى غدواتي إلى القاهرة نوبت إلى متجر صديق لي ، حائك ثياب ، وما اقتعدت ببابه حتى أقبل على بعد ديباجة من التحية بألوان من الشكاية والضجر ، ذلك لأنه قد جازت به طائفة من الزمن ويداه صفر من المال ، وبضاعته المزجاة قد ضربتها السوق بالبوار ، فتبطلت أنامله عن لفق الثوب وخيط الدثار

وطفق يحدثني صاحبي عن مضانكه التي يلقاها في حياته وخصاصة موارده وعجف مكاسبه في أسلوب يستقطر العبرات التوالي ، حتى لقد ذهب إلى أنه لا ينصرف ذلك النهار وينعدم مساؤه إلا وقد أتى الله على بنيان متجره من القواعد ، أو أتى هو على مساريه الواحد تلو الآخر وتركه على عروشه خاويا ، وزين لي أن لو قد خرجت من يد وجدت عليه من وفاضي الخاوي بجزء من عشرة من الدانق لتقبله مغتبطا بعطاء غير مردود ولا ممنون !

وإذ هو سادر في شكايته ، وأنا أصيخ إليه السمع متوجسا مستريبا على تكره واستثقال ، هبط علينا فتى أمرد تأخذه العين ، تبدو عليه أمارات النعمة ، وبين النبل في أطرافه ، ويضوع الطيب من أردانه وأعطافه ، فسلم ثم سلم على غير سابق استعراف، وجئ له بكرسي استوى عليه في استحياء الشباب ، ثم أراد أن يبلغ الغاية من مبناه ، فذكر في صوت لا يكاد يبين أنه نازح عن هذه الديار فتوجه تلقاء باريس في طلب أواسط العلم وأعاليه ، وهذا ما قصد من أجله صاحبي الحائك ، فهو يروم تجهيز أربعة أثواب على الأنماط الفرنجية ، وراح يشرح في إسهاب فتى لا يمت إلى عمله ، بصلة ، فهذا على صفة كيت وكيت ، وهذا على هيئة ذيت وذيت ، وهذا من الطراز الفلاني ، وهذا حسب النموذج الفلاني ، وهكذا حتى استوفى بيانه الشافي وضرب موعداً لانتجاز طلبته لا يزيد على أسبوعين

وبعد ما عاين صديق الحائك جسد الفتى وعجمه وقاسه من قدام ومن خلف ، ومن يمين ومن شمال ، تقدم إليه بالحساب الدقيق عن الأجر الذي يقتضيه لقاء صنعته ، وما يستلحقها، وعند هذا الحد رأيت الشاب ينتزع حافظة نقوده من جيبه كلمح البصر ، وينقد الحائك جملة من الدنانير خفي علي عديدها ، وإن لم يخف علي ما أحدثت في نفس صاحبي من أثر إيجابي ما يقوى على وصفه حجر ولا يراع ، فانبسطت غضون وجهه والتمعت حدقتاه ، وطار به الجذل أي مطار

وما إن انصرف الشاب حتى نظر إلى صاحبي نظرة جمعت له الزمان كله ، وكان أن هم بمعانقي وكأن به جنة أو عراه هوس ، ولكنه عاد يشرح لي مقدار تفاؤله بمقدمي إذ يسر له الأمر ، وتفرج الكرب ، وعلم الله ما كنت سببا في شئ مما حدث ، وإن كان مدعاة لسروري أن أرى صديقا لي أثيراً عندي يربح الله همه ويرزقه من حيث لا يحتسب

ولا يغني اعتذاري عني شيئا ، ولا ارتباطي بموعد استبق هذه الزورة وعسير الفكاك منه ، أن أمسي ضيفا عنده ، وكان أن ذبح لي دجاجة ليس كمثلها في الدجاج ! وقمت عليها فطويتها وما ألحقتها من الرق والإدام ، حتى لحقني البشم وعييت عن التنفس والكلام !

من يوم هذه الواقعة أضحيت أثيراً عند صديق الحانك ، وزاد في إعزازي عن ذي قبل ، فكان يجد في تمقي كلما أطلت الغياب ، ويترصد مطافي كنت حيث كنت ، ورأيت هذا منه فأبيت إلا ادلالا عليه ، لأعرف منزلتي عنده ، فكنت أشيح عنه كلما رأيته ، وأمر منه كلما رآني . وإن يشهد مني ذلك يستضحك كثيراً ويصيح لي : أيها الخبيث المكار ! وظلت هذه حالي معه حتى حالت بيني وبينه ظروف المكان ، فنزحت الدار وشط المزار ، وإني اليوم وإن كنت أستحس برحاء الألم افراق ذياك الصديق مابرحت أجد في جوانب نفسي أثارة حلوة من بعض هذي الذكريات العذاب

٭ ٭ ٭

كان بيني وبين صديق « فلان » ظل من الصداقة ممدود ، فكنا لا نفترق إلا على ميعاد من لقاء ، ما يكف أحدنا عن ازديار الآخر مهما تجيء به الظروف ، وحيث كنت وحيث كان رانطوت على هذا الحب البريء جملة من الزمن وهو لا يزداد إلا نماً وإيراقا وازدهاراً ، ذلك إلى ما بيني وبينه من المصالح المتبادلة من أخذ وعطاء

كان صاحبي هذا لا يسافر إلا وأنا له مودّع ، ولا يؤوب إلا وأنا له مستقبل ؛ وما كان يطوي عني شيئاً مما يختلج في قرارة نفسه من أمر . وهكذا كان شأني معه . فلما قضى الأمر وأريد له أن يبرح المدينة إلى الأقاليم ليقوم على أعماله التشعبة ، لحقني من الحزن على فراقه ما يتقاصر اليراع عن إتيانه . بكى يومها وبكيت أنا لمضاضة الافتراق ، وكان بيننا ميثاق غليظ على التوافي والادكار . وقد بر بقسمه فلا يستدير الأسبوع حتى يرد إلى الكتاب والكتابين ، وما كانت كتبه تحوي إلا كل لفظ جميل يدل على معنى جميل يكون له في نفسي وقع جميل

ولحقني في أحد الأعوام شكاة أزمنت معي وتطاولت مدتها حتى استيقنت أني في غايتها مستأثر بي الله أن حان حيني ، ووالله ما آسف على شيء مما حولي فما خلفت من سبد ولا لبد ، ولا مال عندي ولا ولد ، ويحضرني اسم هذا الصديق فأستشعر المرارة افراقه وأكتب إليه رسالة تفيض بمعاني الوجيعة وبرحاء الألم ، راجيا أن يذكرني في نفسه فيمن يذكر من الصحب والصدقان . وإنه ليطالع كتابي فتفيض شجونه ويهبط الإسكندرية ليلا ثم يوفض إلى بيتي على غير موعد ، ويراني في فراشي مسهداً تعرقني الحمى فيبكي ويستعبر ، ويذكر أيامنا الحلوة التي طويناها في صداقة لا يزيدها اطراد الزمان إلا استحكاما

ويشاء الله العلي القدير أن أبل من مرضي ، فنعود إلى ما كنا فيه من تراسل وتزاور بين حين وحين

كان بعد ذلك أن بعثت إليه أرسيه بأمر عينته له ، هو من بعض شأني ، فأبطأ علي في الجواب حتى تداخلني الريب . وماهي إلا أيام حتى تلقيت منه كتابا ينعي إلي فيه والده ، وكان البقية الباقية من أصوله ، فوقع مني النبأ وقع الصاعقة على الهشيم ، ثم حوقلت واسترجعت وأرسلت إليه أعزيه معتذراً عما فرط مني قبل هذا

وعادت الأمور بيننا إلى مجاريها ، وكنت كلما رأيت من صاحبي فتوراً عن ذي قبل صرفت الأمر عن جهته ، وعدلت به إلى ما هو الأكرم بي وبه ، وغدوت أبعث إليه بالرسائل فلا يجيب ، وإذا ما تعجلته في أمر من الأمور ، ادكر بعد أمة ، وإذ ذاك أدركت أن الرجل تشاءم من وسائلي أو على الصحيح تشاءم بي

ويشاء القدر أن أرسل إليه كتابا أوصيه فيه بشخص أثير عندي ، وأعلم بعد يوم أو يومين أنه احتسب طفلا له

لقد كان وقع المصاب عندي ما يكاد يحتمل ، حتى خيل إلي أن الولد ولدي وأن الفجيعة فجيعتي ، وبكيت مريرا ثم عزيته عزاء جميلا ، وأنا أدرك أن منزلتي عنده قد هبطت وأني صرت حياله لا صديقا ولا شبه صديق

وهبط الإسكندرية في صيف من الأصياف ليقضي أياما دون أن يبلغني بأوبته ، وأستقصي عنه في جميع منازله فلا أدركه ، وأراه يوما ساعة الأصيل في مشرب من المشارب العامة فلا يكاد يبصر بي من بعيد حتى يتطاير عن المائدة ، ويفر إلى داخل المقهى كأنما كنت غولا لاهم ... إلا افتراس الأناسي !

لقد لحقني الإشفاق على الرجل وتألمت أشد الألم لذهاب صداقة مكينة ، كنت أعتز بها جد الاعتزاز . وعلمت فيما علمت أن للتشاؤم أثره في حياة الأفراد ، وأنه قد يذهب بالصداقة الصدوق وما يستلحقها من مصالح وأعمال .

منصور جاب الله

صور من الحياة

سماوية ...
... وأرضية

كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى
(قرآن كريم)

للأستاذ كامل محمود حبيب

يا أيها الجبار ، خفف الوطء . فما أنت سوى ثرى يمشي على ثرى ، وما هذا اللقب الذي تفخر به سوى سيما الذل والضعة اتسمت بها لأنك تعبدت – في غير رجولة – لرجل من الناس ، وما هذا المال الذي تعتز به سوى لعنات الفقير تنصب عليك أبداً لأنك استلبته في غير شفقة – من مسالك الروح !

يا أيها الجبار ، لقد عميت لجذبك الثرى الأرضي إليه لتكون أرضياً في نوازعك ترتدغ في الوحل ، وانطردتك روحانية السماء من نورها ومن رحمتها في وقت معاً !

هذا صاحبي رجل فيه الرجولة والإنسانية ، وفيه الكرامة والترفع ، وفيه الإباء والإيمان ؛ فهو قد شب ونما واشتد غرسه في ظلام القرية ، وترعرع واستد رأيه في كنف الدين . وهو من بيت فيه القناعة والرضا ، يسمو عن النوازع الوضيعة بالقناعة ويتنسم روح الجنة في الرضا ، لا تشغله حاجات العيش عن معاني المسجد ، ولا تصرفه صوارف الحياة عن نور اليقين . والحياة في أعماق القرية لا تدفع إلى طمع ولا تغرى بجشع ؛ فاطمأن صاحبي إلى رزق ضيق وإيمان واسع ، وهدأ إلى بيت خاو وقلب عامر ؛ وانطوت الأيام . . .

وأحس صاحبي بدوم الشباب الحار يتدفق في عروقه ويفور ، فانطلق إلى فتاة من ذوي قرابته يخطبها لنفسه فما رفض أبوها ولا تمنعت أمها ، فإذا هو زوج إلى جانب زوجة رقيقة طيبة . وراح الرجل – كدأبه أبداً – يتسلل من الدار كل صباح – لدى الفجر – إلى الجامع يبتغي أن يتجرد ساعة من أرضيته الثقيلة لتحلق روحه الطاهرة – حيناً – في صفاء السماء تطلب الهدوء والسكينة ، وتسأل العطف الإلهي الذي يتراءى لها في صورة طفل يملأ الدار مرحاً وبهجة ويعمم القلب فرحاً وسروراً . وانتظر الرجل الهبة الإلهية طويلاً ... انتظر طويلاً في غير جدوى

ولم يستطع الشيطان أن يتسرب إلى قلب الرجل الورع فينفث فيه الأسى واليأس ، أو يوسوس له بالشر لأنه لم يرزق طفلاً ، فصبر ... صبر والزوجة البائسة تحس خواطر قلب زوجها فتتقلب – في صمت – على جمرات من الضيق لأنها تخشى ثورة الرجل الذي أكرمها عاقراً سبع سنوات عجاف . وبدأت نفسها تتفلسف فلسفة الفلاح حين يمسك بالفأس ليجتث أصول الشجرة التي لا تفيء بالظل ولا تؤتي الأكل ، فاضطربت وطار عنها القرار لأنها تضن بالحياة الناعمة التي تسعد بها أن تتكفأ فتستحيل جحيماً أو أن تنفصم عروقها ؛ وتضن بهذه الشمس المشرقة في أرجاء الدار أن تغيب في غمرات اليأس ، وتضن بهذا الرجل الطيب أن يحور وحشاً يفترس ... يفترسها هي في غير ذنب ولا جريرة ؛ فانضمت على أسى وضيق ، ولكنها توجهت بقلبها إلى السماء

وعلى حين فجاة أثمرت الشجرة التي أقفرت عمراً طويلاً فأضاء وجه الرجل لمقدم الطفلة وأشرق النور في جنبات قلبه ، وأضاء وجه المرأة وهدأت جائشتها ؛ واستحالت حال الدار فأفعمها البشر وفاض بها السرور . وترقرق الأمل في عصب الرجل وتبضت الهمة في قوته ، فانطلق إلى الحقل يحدوه الرجاء ويدفعه الأمل فأصاب مالا على حين لم يغفل نزعات روحه السماوية

ودرجت الطفلة وشبت ، وإلى جانبها قلب أبيها يفيض بالحنان والرقة ، ويده تفيض بالكرم والسخاء ؛ وهو في عمله يستنفد وسع الطاقة في جد ، ويبذل غاية الجهد في رضا ، ومرت الأيام في هدوء وتيب يدفع الصبية إلى الصحة والنشاط إلى أن بلغت سن الشباب والأنوثة

وفي ذات صباح – وعلى حين غفلة من أهلها – هبت الفتاة لترى الداء يتسرب إلى رقبتها فتتورم، ورأت الأم ورأى الأب ، فأصابهما الفزع . وطار الأب في – في ذعر – إلى حلاق الصحة ... وحلاق الصحة في القرية رجل فرض نفسه ليكون

طبيبا، يصف الداء ويشرف على العلاج، فهو يعبث بالمرضى كيف يشاء والحكومة فى عمى عن أمره، ويستنزف الصحة والمال، لا يجد رادعا من نفسه ولا يحس عاطفة من قانون

وجاء حلاق الصحة يداوى علة الفتاة على طريقته التى تتخبط فى متاهات الجهل، ولكن الداء تأبى عليه فما أجدت حيلته ولا أصاب رأيه

وأصاب الأب الهموم والضيق مما تلق فتاته. فهو لا يرى إلا كاسف البال، مقطب الجبين، مضطرب الخاطر

ونفد صبر الرجل من طول ما عانت ابنته فجلس إلى الحلاق يستوضحه خبر المرض الذى عز دواؤه، ويسأله النصيحة الخالصة بعد أن أجزل له العطاء، فقال الحلاق «إن فى القاهرة طبيبا كبيرا هو سعادة فلان يستطيع أن يحتال الأمر بحيلته وبراعته وعلمه، فاذهب إليه علك تجد عنده شفاء ابنتك»

فقال الرجل «وماذا عسى أن يطلب منى أجر هذا العلاج»

قال الحلاق «أظنه لا يقنع بأقل من عشرة جنيهات»

وانطلق الأب من فوره يهيئ الجنيهات التى يطمع أن يشترى بها صحة وحيدته فما أسفر الصبح حتى كان يصحب ابنته فى طريقهما إلى القاهرة يريد أن يمسح عن الفتاة قسوة الداء، وأن ينفض عن قلبه لفحة الحيرة

وطرق الرجل باب صاحب السعادة الطبيب الكبير فانفتح له، ووقف الرجل المسكين أمام الطبيب الثرى يشرح له عمر الداء ويتحدث عن لوعته وفزعه، فى صوت يحكى بكاء الأب الملتاع يترجى وحيدته وفى خياله أنه يوشك أن يفقدها وهى بسمة الأمل فى ظلمات الحياة، ونور القلب فى معضلات العمر. وسمع الطبيب خفقات قلب الرجل وهو ينفض ذات نفسه فى ذلة وانكسار فما اهتز له ولا رق ! ثم شمخ بأنفه فى صلف وكبرياء وهو يقول «هذه العملية لا أرضى فيها بأقل من خمسين جنيها»

ودوت الكلمات فى أذنى الرجل الريفى الساذج فارتعدت لها نفسه ومادت به الأرض من هول ما سمع. وذهب يحدث نفسه «خمسين جنيها ؟ خمسين جنيها كاملة ينالها رجل من الناس أجر ما يضع الشرط ثم يرفعه ! هذا ظلم وتعسف وجور ...» ثم صحا الرجل من ذهوله ونظر إلى الطبيب يحدثه فى تضرع وخضوع «ياسيدى، إن ابنتى هذه هى وحيدتى التى أرجاها، وهى أمنية العمر وأمل الحياة، ولقد جاءت فى جدب السنين وقفرها لتبذر فىّ غراس الأمل والنشاط، واندفع عنى عنت اليأس والضيق، وأنا رجل فقير لا أملك سوى عشرة جنيهات هى لك كلها»

فابتسم الطبيب الكبير فى سخرية وهو يقول «كلها ! كلها !»

وفهم الرجل الطيب من الكلمات غير ما يبطن الطبيب، فقال «نعم، يا سيدى، كلها» وسخر الطبيب من عقل الرجل الريفى مرة ومرة ثم سخر مرة أخرى من المبلغ التافه الضئيل الذى يقدمه الرجل، سخر من هذا المبلغ وهو فى نظر الفلاح شيء كبير لأنه يسد الخلة شهورا وشهورا ... سخر الطبيب من الرجل ومن المبلغ ثم قال فى جد «لا أقل من خمسين جنيها» وألح الرجل يتوسل فى أسلوبه الريفى على حين قد أوصد الطبيب قلبه عن لوعة الأب، ثم اندفع يهر فى الرجل هريرا منكرا وهو يقول «نحن هنا لا نتصدق ! نحن هنا لا نتصدق أيها الجلف ! أخرج، أخرج فقد أضعت وقتى وجهدى سدى» وخرج الرجل من لدن الطبيب العظيم وقد انكسر خاطره وذوى أمله وتحطم قلبه. خرج وما فى مسمعيه سوى صرخات الطبيب العظيم وهو يدوى عواء منكرا «نحن هنا لا نتصدق ... نحن هنا لا نتصدق»

وعجب الرجل أن يكون فى الدنيا رجل أرضى يتحدى بأرضيته الوضيعة، روحانية السماء السامية. فرفع بصره صوب السماء يدعو «إنك أنت، يا إلهى، الذى تتصدق علينا جميعا»

وضاقت الأرض فى عينى الرجل فلم يجد سعة إلا فى المسجد، فى المكان الذى يمسح عن نفس المرء خبث الأرض. وجلس هناك يستجدى ندى السماء حين أغلقت فى ناظريه أبواب الأرض. جلس وإلى جانبه ابنته تعانى شدة الضنى ونهكة المرض ووعثاء السفر فأخذتها سنة من النوم، واندفع هو فى تضرعه حتى أرهقته النصب فاستسلم هو أيضا للكرى

ورفت عليهما الرحمة الالهية تهدهد من أشجانهما ومن آلامهما

وفزعت الفتاة من أحلامها - بعد لحظة - تتلمس موضع الورم من رقبتها فإذا هو ينفض ما فيه من دم وقيح، وأسرعت إلى أبيها توقظه ليمسح عن الجرح ما سال منه وقد سكن الورم

ياعجبا ! لقد انفتحت أبواب السماء لدعاء الأب المسكين لجاء الشرط الإلهى يبرئ سقم الفتاة التى ضن عليها الطبيب الأرضى بشرطه إلا أن رهن الأب بالمال الذى لا يجد إليه سبيلا . وسمت سماوية الرجل الصالح على أرضية الطبيب الشره فحقها ، فاوتدت الفتاة – فى لمحة واحدة – تحس الراحة والهدوء والصحة

فيا لسماوية السماء ... يا لسماوية السماء !

كامل محمود حبيب

يزيد بن المهلب

للأستاذ حمدى الحسينى

المهلب بن أبى صفرة أبناء نجباء كرماء شجعان غزاة فاتحون قد أجمع المؤرخون على أنه لم يكن فى دولة بنى أمية أكرم منهم .

وكان لهم فى الشجاعة مواقف مشهورة مشكورة . ذكر آل المهلب فى مجلس عبد الرحمن بن الأشعث بسوء فقال حريس بن هلال القريعى : والله ما أعلم أحداً أصون لنفسه عند الرخاء ولا أبذل لها فى الشدة منهم

وقدم عبد الرحمن بن سليم الكلبى على المهلب فرآى بنيه قد ركبوا عن آخرهم فقال :

آنس الله الإسلام بتلاحقكم. أما والله لئن لم تكونوا أسباط نبوة فإنكم لأسباط ملحمة . وكان عمر بن عبد العزيز يقول : آل المهلب جبابرة لا أحب مثلهم. ووفد مالك بن بشير على الحجاج فسأله عن ولد المهلب فقال هم رعاة الباب حتى يأمنوا، وحماة السرح حتى يردوه، قال أيهم أفضل قال ذاك إلى أبيهم . هم كالحلقة المفرغة لا يعلم طرفاها

أجل لقد أصاب مالك بن بشير فى أن أبناء المهلب كالحلقة المفرغة . وفى أن أباهم هو الذى يعرف طرق الحلقة ويميز بين أقدارهم ويفضل بعضهم على بعض . وها نحن نراه يعلن هذه المعرفة وهذا التفضيل فى وصيته لأبنائه يقول لهم والسرور يملأ نفسه : قد استخلفت عليكم يزيد ، وجعلت حبيباً على الجند حتى يقدم بهم على يزيد . فلا تخالفوا يزيد . فيجيبه المفضل لو لم تقدمه لقدمناه

فمن يزيد بن المهلب أحدثكم هذه المرة وأجلو أمامكم شخصيته القوية جلاء يرون فيه ألوانا زاهية ساحرة من العظمة، وأشكالا جميلة فائقة من العبقرية، وضروبا نادرة المثال فى البطولة والشجاعة

ولد يزيد بن المهلب فى ساحات الحروب فاكتحلت عيناه بغبار المعارك، وتضمخ جسمه بعبير الكر والإقدام، وملأت سمعه قعقعة السلاح والركاب ، وصدت فى نفسه أخبار الحروب والقتال، وهزت روحه نغمات النصر وأناشيد الظفر فنشأ على ظهور الخيل فى ساحات الفر . وبين صفوف الأبطال فى ميادين النضال .

قاتل يزيد بن المهلب الخوارج مع أبيه فكان له فى قتالهم مواقف بطولة أكسبته الثقة وخلعت عليه المهابة وجلال القدر مما جعل أباه المهلب يعتمد عليه فيوليه القيادة فى أدق المواقف وأخطر الساعات، ويوليه الإدارة فى أوسع الأقطار وأغنى الأمصار.

وما إن تولى يزيد بن المهلب على خراسان بعد أبيه حتى كتب للحجاج بتوليته عليها حسب وصية المهلب فما وسع الحجاج ولا وسع عبد الملك إلا أن يحترم وصية المهلب فى استخلاف يزيد على خراسان ، وإلا أن يحترما إرادة يزيد نفسه فى الولاية عليها فأقرا يزيد بن المهلب على خراسان فأصبح واليا على هذا القطر الإسلامى العظيم بموقعه العسكرى بالنسبة لحركة الفتح الإسلامى، وبخراجه الضخم بالنسبة لميزانية الدولة الأموية

أقام يزيد على ولاية خراسان ثلاث سنين كان خلالها السيد المطلق والحاكم الذى لا ترد له إرادة ، ولكنه لم يستسلم للراحة ولم ينغمس فى النعيم، بل ظل كرأس الحية النضناض لا يرى مجالا تظهر فيه البطولة إلا رمى بنفسه فيه فكان البطل الذى لا يغلب ؛ ولا يحس بظرف تبرز فيه المكارم إلا برز فيه فكان الكريم الذى لا يجارى والعظيم الذى لا يشق له غبار

أراد رجال عبد الرحمن بن الأشعث الثائر على الحجاج والدولة الأموية أن يجعلوا خراسان ملجأ لهم وموضعا لحركاتهم الثورية ، فقال لهم عبد الرحمن : على خراسان يزيد بن المهلب وهو شاب شجاع صارم وليس بتارك لكم سلطانه، ولو دخلتموها وجدتموه

ليكر صريعاً. ولكنهم دخلوا خراسان فوجدوا يزيد إليهم سريعاً ضربهم في وجوههم ففروا أمامه مقهورين ورجع غانماً ظافراً

وما كاد يفرغ من الضربات الباطشة التي أوقعها على رؤوس الثوار حتى انقض على قلعة عظيمة من قلاع ملوك الترك تسمى قلعة نيزك ففتحها فكان في فتحها للغزاة المسلمين خير كثير. ولكن هيهات أن يتسع صدر الحجاج لمثل يزيد بن المهلب في عقله وتدبيره وهمته وبطولته وعزته ومنعته وقوته وسلطانه . فقد تنكر له الحجاج فاستدعاه للعراق فأشار عليه بعض خاصته بعدم الذهاب إليه فقال له : نحن آل بيت بورك لنا في الطاعة وأنا أكره المعصية والخلاف . وذهب إلى الحجاج فقبض عليه وأودعه السجن وأسرف في تعذيبه حتى هيأ الله له أن يخرج من السجن بأعجوبة فذهب إلى سليمان بن عبد الملك وهو في الرملة البيضاء وطلب منه التوسط له عند أخيه الوليد ففعل وظل يزيد عند سليمان بن عبد الملك في الرملة حتى آلت الخلافة إليه فولاه على العراق بعد وفاة الحجاج ، فكره يزيد أن يظل على هذا القطر المتعب المنهوك فنقله سليمان إلى خراسان ذلك القطر الحبيب إلى نفسه العزيز عليه وعلى آل المهلب جميعاً . فعاد يزيد إلى خراسان وقضى فيها ثلاث سنوات فتح خلالها جرجان وطبرستان . ولكن موت سليمان قطع على يزيد طريق الفتح والتقدم فقبض عليه عمر بن عبد العزيز لأنه كان يكره آل المهلب لأنهم جبابرة وأودعه السجن ، فظل يزيد بن المهلب في السجن حتى توفي عمر ، ففر يزيد خوفاً على حياته من يزيد بن عبد الملك وتوجه إلى البصرة وهناك كشر ليزيد بن عبد الملك عن نابه وخلعه ورام الخلافة لنفسه فبايعه الناس على كتاب الله وسنة رسوله ، ولكن يزيد بن عبد الملك أرسل إليه أخاه مسلمة في جيش عظيم فاستقبله يزيد بن المهلب وقاتله قتالا شديداً ، فلما استمر القتل بين الفريقين تفرق أصحاب يزيد فقيل له قد انهزم الناس ، فقال مم انهزموا ؟! فقيل له أحرق الجسر فلم يلبث أحد ، فقال قبحهم الله . بق دخن عليه فطار . وكان يزيد لا يحدث نفسه بالفرار وجاء من أخبره أيضاً أن أخاه حبيباً قد قتـــل ، فقال لا خير في العيش بعد حبيب قد كنت والله أبغض الحياة بعد الهزيمة فوالله ما ازددت لها إلا بغضاً . امضوا قدماً . قال أصحابه إن الرجل قد استقتل . مضى يزيد في قتال أعدائه وصار كلما مر بخيل كشفها . جاءه أحد أصحابه وهو في تلك الساعة الرهيبة والسيف في يده يقطر دماً وقال له : قد ذهب الناس فهل لك أن تنصرف . فقال له يزيد قبح الله رأيك ، إلي تقول ؟! إذاً الموت أيسر علي من ذلك . فقال له إني أخاف عليك . أما ترى حولك من جبال الحديد . مشيراً إلى جيش مسلمة فقال . أفأنا أباليها جبال حديد كانت أم جبال نار ؟ اذهب عنا إن كنت لا تريد قتالا معنا . وأقبل يزيد على مسلمة لا يريد غيره حتى إذا دنا منه عصفت عليه خيول أهل الشام فخر صريعاً

وقد كان فوت الموت سهلا فرده ... إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف العار حتى كأنه ... هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر

حمل رأس البطل القتيل إلى عدوه ووضع بين يديه ؛ فأراد أحدهم أن ينتقص البطل حينذاك، فقال له يزيد بن عبد الملك: مه ، إن يزيد بن المهلب طلب جسيماً وركب عظيماً ومات كريماً

حمدي الحسيني



الضوء لغز الطبيعة

للأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

لعل الضوء أهم العوامل التي تزيد معلوماتنا عن العالم الخارجي. فالعوامل الأخرى كالأصوات والروائح وغيرها تدلنا على القليل إذا ما قورنت بالضوء، لأن أغلب معلوماتنا تأتي نتيجة لمشاهداتنا البصرية. فما الذي نعرفه عن الضوء، ذلك الذي لا تعتمد عليه معلوماتنا فحسب، بل تعتمد عليه أيضاً حياتنا وكياننا؟

كان بعض فلاسفة اليونان الأقدمين يقولون إن الضوء يرحل في خطوط مستقيمة يبعد الخط الواحد عن الآخر، ولهذا كانوا يعزون عجزهم عن رؤية شيء صغير راقد تحت أنوفهم كإبرة مثلا إلى أنها موضوعة بين خطين من الخيوط الضوئية. فقد كانوا يجهلون إذ ذاك وجود النقطة العمياء في العين، ويظنون أن أشعة الضوء تصدر من العين، لأنها لو كانت صادرة من الإبرة لشاهدوها دائماً

ولقد قال بعض مفكري المدرسة الأفلاطونية في ذلك الوقت إن الإبصار ناشئ عن ذريرات تندفع من الأشياء المضيئة وتصل إلى إنسان العين فتؤدي إلى الرؤية. وهذا قول أقرب إلى الصحة من القول السابق. ومع ذلك فلم يقبله الرأي العام إلا في القرن الحادي عشر

النظرية الذرية:

لقد صرح السير إسحاق نيوتن بأن الضوء ناشئ من تيار من الدقائق الصغيرة اللامتناهية في العدد، تنبعث من الجسم المضيء في كل اتجاه وفي خطوط مستقيمة. وافترض أن هذه الدقائق تستطيع اختراق الأجسام الشفافة، فإذا ما اصطدمت بعدسة العين نتج الإحساس بالرؤية. ولذلك سميت نظريته بنظرية الانبعاث Emission Theory أو نظرية الضوء الذرية The Corpuscular Theory of light

وقد فسرت هذه النظرية الكثير مما يمت للضوء بصلة واعتبرت لأمد طويل نظرية موفقة

نظرية الموجة:

أجمع العلماء إذن على أن الضوء آت من الأجسام المضيئة، وأصبحوا لا يشكون في أنه يتركب من دقائق صغيرة تندفع من الجسم المضيء

ثم أقبل القرن التاسع عشر، فافترض العلماء أن الضوء حركة تموجية في الأثير، وسميت هذه النظرية بالنظرية الموجية

بيد أننا في عصرنا هذا لا نعتقد في وجود الأثير الذي أسرف علماء القرن التاسع عشر في الاعتماد على فرضه. فالوسط الواسع الذي يملأ رحاب الفضاء، ذلك الوسط المهتز المتغلغل في المادة جميعها، ليس له مكان في العالم الذي أوجده أينشتاين، فضلا عن أننا لسنا في ثقة من معرفتنا الفرق بين الدقيقة والموجة. فنحن نشاهد في معاملنا الحديثة دقائق تفعل فعل الموجات، وموجات تتصرف تصرف الدقائق؛ والضوء يحذو حذو الدقائق والموجات. فهناك ثمة ظواهر تتصل بالضوء لا يمكن تفسيرها إلا بقاعدة الموجة، وهناك ظواهر أخرى تفسرها النظرية الذرية. والواقع أنه بكشف الأشعة السينية وغيرها من الأشعة الخفية استطاع العلماء تسجيل ظواهر يبدو أنها في حاجة إلى كلتا النظريتين حتى تطابق الحقائق. وهذا هو الوضع الغريب للضوء في علم الطبيعة اليوم. ولذلك فالضوء أكثر غموضاً في الوقت الحاضر مما كان عليه منذ قرون مضت. وما البحث النظري الحاضر في «آلية الموجة» إلا محاولة من المحاولات للعثور على معادلة تحل هذا الوضع

ويعتقد العلماء الآن أن الضوء يدين بأصله إلى الكهارب في الذرة، ولها شرح مستفاض في نظرية الكم (Quantum) التي تفسر أيضاً امتصاص الضوء، ولاسيما انبعاث الالكترونات من الأسطح المعدنية المضاءة

سرعة الضوء :

ومع اختلاف الآراء في ماهية الضوء فإننا نعرف عنه في الوقت الحاضر الشيء الكثير . فنحن نعرف مثلا أن الضوء يستغرق زمنا لرحيله من مكان إلى مكان وهذه أغرب ظاهرة في تاريخ العلم . إن مجرد تأمل هذه الحقيقة يبدو كأنه خيال محض . فقد اعتدنا أن نعزو الإبصار إلى أنه مجرد موهبة . فإننا نفتح أعيننا ، فإذا ما كان هناك ضوء أبصرنا الأشياء . ويبدو هذا طبيعيا تماما . فمن ذا الذي يخطر على باله أن الضوء يأخذ وقتا في قطعه مسافة ما ؟

كان أول من فكر في ذلك الأمر الفلكي الهولندي أولاوس رعمر في عام ١٦٧٦ . فقد لاحظ في أثناء مراقبته المشترى وأقماره الأربعة (١) التي تدور حوله أنه عندما يمر أحد هذه الأقمار خلف المشترى تأتي لحظة يختفي فيها القمر عنا ، وهي اللحظة التي يستغرقها القمر في الاختفاء ثم الظهور مرة أخرى حتى يقطع جزءا من رحلته خلف السيار . ولاحظ رعمر أن مدى هذه اللحظة متغير ، وأن الزمن يطول عندما تتحرك الأرض مبتعدة عن المشترى ، ويقصر عندما تقترب منه ، وأن هذا التغيير متعدد نظرا لأن المشترى والأرض يتحركان حول الشمس بسرعتين متغايرتين . فسأل نفسه : لماذا تبدو هذه النجوم الراحلة بسرعة ثابتة كما لو أنها تمكث خلف المشترى مددا مختلفة ؟ وكان هذا السؤال هو الذي ولد في عقل رعمر تلك الفكرة العجيبة في أن الضوء يستغرق زمنا أثناء رحيله . لأنه إذا كان الضوء القادم من أقمار المشترى لا يصلنا في التو واللحظة فذلك مرجعه إلى أن الضوء يقطع وقتا حتى يدرك الأرض المدبرة عن المشترى أطول من الوقت الذي يقطعه ليقابل الأرض المقبلة على النجم . وقد استطاع رعمر بقياس الفرق بين الأزمنة المختلفة أن يحسب سرعة الضوء ، فوجدها أقصى سرعة في الوجود . وقد استطاع علماء العصر الحديث أن يقيسوا هذه السرعة مباشرة وهي ١٨٦٫٠٠٠ م. ل في الثانية . إن أسرع رصاصة تبدو وكأنها لا تتحرك إذا ما قورنت سرعتها بسرعة شعاعة ضوئية . ومع ذلك فنحن نعرف ذرات (دقائق) تتحرك بسرعة تقرب من سرعة الضوء . فبعض دقائق الكهرباء المتقذفة من الراديوم (أشعة بيتا) تصل سرعتها إلى أكثر من ٩٩ ٪ من سرعة الضوء . مثل هذه الدقائق تستطيع أن تدور حول خط الاستواء سبع مرات في الثانية

السرعة الحرجة :

وصفوة القول أن سرعة الضوء تعتبر أكبر سرعة موجودة في العالم على الإطلاق . ومن المستحيل على أي جسم مادي أن يتحرك بسرعة أكبر من هذه السرعة ، وهذه حقيقة أثبتتها نظرية النسبية لآنشتاين . ولذلك أصبح من المستحيل وجود سرعة لانهائية في عالمنا هذا . فهناك سرعة محدودة معينة لا يمكن لأية سرعة أن تتعداها ، وهي سرعة الضوء . ولذلك سميت بالسرعة الحرجة . وهذه السرعة تعزز الرأي في أن الضوء لا يتركب من دقائق وبالأخص دقائق مادية ، على الرغم من أن بعض الظواهر الأخرى لا تفسرها إلا النظرية التموجية

عودة إلى الأثير :

ولكن كيفما يكون الضوء فإننا نعرف أنه توجد أشياء لها نفس نظامه ، مثل أمواج اللاسلكي والأشعة السينية والإشعاع الحراري والأشعة فوق البنفسجية . كل هذه الظواهر ذات طبيعة تماثل طبيعة الضوء ولو أنها لا تحدث تأثيرا على أعيننا مثلما تحدثه أشعة الضوء

فإذا اعتبرنا الضوء موجات في الأثير – ونحن لا نملك إنكار الأثير على الرغم من شكوكنا الحديثة – فإننا نستطيع في سهولة رؤية الفرق بين الضوء وهذه الظواهر الأخرى . فإن أمواجها إما أن تكون أطول أو أقصر من أمواج الضوء ولو أن لها نفس طبيعة أمواج الضوء وترحل بنفس سرعتها

وليس معنى ذلك أن كل أمواج الضوء ذات طول واحد ؛ فبين موجات الأثير التي تؤثر على أعيننا وبين ما نسميه بالضوء توجد موجات ذات أطوال مختلفة . وعلى هذه الحقيقة يتوقف وجود الألوان المختلفة . فأطول موجات الضوء ينتج فينا إحساسا باللون الأحمر ، وأقصرها ينتج فينا إحساسا باللون البنفسجي . أما الألوان الأخرى فأمواجها بين هذين الطرفين . وما نزعم أنه ضوء

(١) للمشترى تسعة أقمار خمسة منها صغيرة جدا لم يلاحظها رعمر في ذلك الوقت

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

في الأدب والحياة:

نشرت لي أخيراً إحدى المجلات الأسبوعية مقالا تحت عنوان «أنقذوا طلبة الجامعة»، أعبت فيه باللائمة على شباب الجامعة، طلائع الجيل الجديد، ورمز الحضارة والثقافة العالية بمصر، وكيف جرفتهم حياة القاهرة اللاهية العابثة، وضاعت رسالتهم النبيلة التي من أجلها هاجروا إلى هذا الوطن الكبير، كما ضاع شبابهم، وسط هذا العباب الزاخر، والتدهور الأخلاقي الرهيب!

وجمعتني الظروف في إحدى أمسيات الأسبوع الماضي، بزميلة صحفية خريجة الجامعة منذ سنوات، تعمل محررة في إحدى الصحف اليومية المسائية، وما إن استقر بي المقام في هذه الندوة الأدبية التي ضمت الكثير من الصحفيين، حتى بادرتني الزميلة بقولها: «علام تتحاملون على الجامعة وطالباتها وطلبتها»؟! إن الجامعة بخير ما دام الجميع يؤمنون برسالتها النبيلة في الحياة»

وتطرق الحديث بنا إلى مجلة «الرسالة» والكاتب الناقد الذي يحرر «باب التعقيبات»

وحدثتني الكاتبة الصحفية قائلة: «إننا نفخر بالأستاذ المعداوي ككاتب له رسالة، وهدف في الحياة يحاول أن يحققه عن طريق النقد والتوجيه. غير أن آراءه ونقده تتسم غالباً بطابع العنف والقسوة، ولذلك فهو في نظري عامل هدم لا عامل بناء. وفرق كبير بين كاتب يحاول أن يضيء شمعة وسط الظلام، وآخر يسعى إلى ذبالة النور التي يتلمسها كل حائر ليطفئها»! ثم استطردت الأديبة تقول: «هذا هو أحد أعداد الرسالة، وهذه هي السطور التي كتبها صاحب التعقيبات تحت عنوان «الفتاة الجامعية والزواج»، تحامل فيها على طالبات الجامعة وقال إنهن لا تصلحن

أبيض ليس إلا خليطا من مختلف الألوان. ونستطيع رؤية ذلك إذا مر الضوء الأبيض خلال منشور زجاجي. فالمنشور يحلل أطوال الموجات المختلفة فنرى أشرطة ملونة محدودة بين اللونين الأحمر والبنفسجي

العناصر والضوء:

كان السير إسحاق نيوتن أول من أثبت أن اللون الأبيض مركب من مختلف الألوان. ولقد تقدم تحليل الضوء تقدما كبيرا، ويعد الآن أهم فرع من فروع الطبيعة. فجميع معلوماتنا عن النظام الطبيعية للنجوم تأتي من علم تحليل الضوء أو ما يسمى بالتحليل الطيفي (السبكترسكوب). والحقيقة الرئيسية التي يتألف عليها هذا العلم هو أن كل عنصر عند إحمائه إلى درجة التوهج يعطي ضوءا معينا فإذا أحمي عنصر ما ومر ضوءه خلال منشور زجاجي، فإن هذا الضوء ينتشر في أشرطة ملونة، عند فحصها نجد من بينها خطوطا لامعة. وقد وجد أن هذه الخطوط تطابق العنصر نفسه، وأنه لا توجد مادتان تعطيان نفس الخطوط. فمن تحليل ضوء أية مادة متوهجة نستطيع معرفة هذه المادة

وقد طبقت هذه الطريقة التحليلية على الضوء القادم من الشمس فاستطاع العلماء معرفة المواد التي تتركب منها الشمس، فوجد أنها تطابق مواد موجوده بالأرض. وقد كشف العلماء غاز الهليوم على الشمس قبل أن يعثروا عليه في الأرض

وبنفس الطريقة أمكن معرفة تركيب النجوم وحرارتها وسرعتها

* * *

هذا هو الضوء الذي يساعدنا بالافضاء لنا بالكثير عن أحاجي الكون، ومع ذلك فلا يزال لغزاً قائماً بذاته لم يستطع الانسان حله إلى الآن

محمد فهمي عبد الوهاب

للجامعة للدرس والتحصيل بل لطلب الزواج .. وهذا رأى خطير لم يجترىء كاتب شرقى على أن يجهر به قبل اليوم ، ولا تؤمن به أى فتاة جامعية اعتصرت شبابها وحياتها ،وسهرت الليالى الطوال فى سبيل هدف أسمى مما تصوره ونادى به ! وهذا ما أجهر به تجاه الأستاذ المداوى وتجاه الرأى العام الذى شاهد كفاح الفتاة الجامعية فى سبيل العلم لا فى سبيل الزواج .. وها أنذى واحدة منهن دخلت الجامعة وخرجت منها دون أن أتأبط ذراع عريس الأحلام بجانب « الليسانس » كما يدعى الأستاذ المداوى ، بل جاهدت طوال سنوات الدراسة فى سبيل العلم والثقافة ، العلم الذى ستظل به المرأة أداة هامة فى ذلك المجتمع المنحل الفاسد ، المرأة التى هى روحه كما يقول الكاتب الفيلسوف « برناردشو » : إذا كان الرجل هو المجتمع فالمرأة روحه !

يظهر أن المرأة التى حطمت تمثال الأمل الجميل بين حنايا قلبه، قلب الأستاذ المداوى ، وأقصته عن محراب شبابها وجنة حبها بالأمس ، وألهمته « من الأعماق » و « من وراء الأبد » ، يظهر أن هذه المرأة هى التى أثارت كوامن الحقد الدفين بين جوانحه على كل امرأة فى الوجـــود ! وما لك تذهب بعيداً وسطوره التى كتبها بأحد أعداد « الرسالة » أيضاً عن الكاتبة الأديبة السيدة أمينة السعيد ، تطالعنا الآن يوم أن كتب إليه أحد الأدباء رسالة يستوضحه فيها رأيه عما كتبته الأديبة المصرية وما كتبه هو عن طبيعة « لورد بايرون » ، وإنتاجه الذى خلده له التاريخ بين « عبقريته وحرمانه » . لقد كان رده أبلغ دليل على تجنيه على الحقائق التى حدثنا بها التاريخ الأدبى عن هذا الشاعر العظيم ، وما زالت عباراته التى وجهها إلى الكاتبة الأديبة على صفحـات « الرسالة » تطالعنى فى كل وقت ، يوم أن كتب بالحرف الواحد: « ولعل فى هذه العجالة ما يهدى الأديبة المصرية إلى معالم الطريق » !

بقى شىء بعد ذلك هو أوضح برهان على أنه لا يبغى من وراء هذا النقد إلا التجريح والتشهير بمن يكتب عنهم ،وأعنى به المعركة الأدبية التى أثارها الأستاذ المداوى على صفحات « الرسالة »، عن أحد الكتاب الشيوخ الذين سوف يكتب عنهم التاريخ فى المستقبل بأحرف من نور . لقد استخدم الأستاذ معوله فى غير ترفق ولا أناة » ! ثم اختتمت الصحفية الأديبة حديثها —

وأستسمح الكاتب الكبير — اختتمته بهذه الكلمات : « لقد كتب الأستاذ سعيد العريان يوماً عن أديب العربية الرافعى فى كتابه « حياة الرافعى » ، كتب يقول : لقد كان الرافعى طويل اللسان من أول يوم ، وإذا جاز لى أن أستعير منه هذا التعبير اقلت لصاحب التعقيبات : إنك طويل اللسان من أول يوم تخطوه فى طريق المجد . المجد الأدبى العظيم الذى ينتظرك إذا ما حاولت أن تبقى على الشمعة التى تضىء لنا الطريق » !

إلى هنا ينتهى رأى الزميلة الصحفية فى الأستاذ المداوى .. وكان ردى عليها حين اختتمت حديثها معى : « رأيى فى الأستاذ المداوى ـ ولا أقول هذا عن نفاق أو رياء ـ أنه الكاتب الوحيد الذى سيفخر به ميدان النقد الأدبى فى الشرق العربى ، يوم أن تموت الأنانية والحقد فى صدور الأدباء بعضهم لبعض » !

وإننا لننتظر رد الأستاذ المداوى على ما وجهته إليه الزميلة الأديبة من اتهام ، ولكل أديب أن ينظر إلى الآخر من الزاوية التى تتفق وما يحفظه له من صور وأحاسيس ، غير أن الحقيقة هى النور الذى يفضح التجنى أو غيره !

« كلية الشريعة » عبد العال حسن اسماعيل

هذه رسالة من أطرف الرسائل التى زخرت بها حقيبة البريد، وصحيح الطرافة فيها إلى هـذا السيل المنهمر من فنون الاتهام ، وما يقترن به من صراحة محببة أعجب بها ولا أضيق . أما الأديبة الفاضلة التى ينقل إلى اتهامها الأديب الفاضل فهى محررة فى جريدة « الزمان » ، أعفى القلم من ذكر اسمها حرصاً على إحساسها المرهف وشعورها الرقيق . وأعفيه مرة أخرى من التعرض لهـا بشىء من القسوة أو أشياء من العنف ، لأن أخلاق الفروسية تحول بين الرجل وبين التهجم على فتاة ... هذا مبدأ أدين به فى حياتى الشخصية والأدبية. ومعذرة للأديبة الفاضلة إذا قلت لها إن حملاتها على قد بلغتنى قبل أن أتلقى هذه الرسالة ، ومع ذلك فقد كففت قلمى عملا بهذا المبدأ واحتراماً لهذا الشعار !

إنها تتهمنى بأننى كاتب طويل اللسان . هذا حق لا أجادل فيه ! وأزيد عليه أننى واحد من الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على الشجاعة ، حتى لتدفعهم صراحتهم وشجاعتهم إلى أن تولوا

من أنفسهم ما يفزع منه غيرهم من الناس . ولولا هذا الذي فطرت عليه وجبلت ، لما وافقت الأديبة الفاضلة على أنني كاتب طويل اللسان ! أوافقها على هذه المقدمة وأختلف معها حول ما انتهت إليه من نتيجة ، محورها أنني عامل هدم في الحياة الأدبية ولست عامل بناء .. هنا شيء من الظلم للحقيقة والمجافاة للواقع ، لأنني ما استخدمت طول لساني في هدم قيمة من القيم إلا إذا كانت بالية ، ومتداعية ، وينبغي أن تزول . أعني أنني لا أهدم إلا وننصب عيني هدف واحد ، هو أن أقيم البناء الوطيد الأركان على ركام الأنقاض !

أقول هذا ولا أريد أن أذكر أسماء من هاجمت من الأدباء ... حسبي أنني آمنت وما زلت أومن ، بأن الحياة الأدبية في مصر محتاجة إلى حركة تطهير يقوم بها لسان طويل ! ذلك لأن الأدب هنا ، في هذا البلد ، أشبه برجل كريم النفس سمح الخلق مضياف ، يفتح بابه لكل طارق ، ويهيئ مائدته لكل عابر ، ولو اندس بين جموع الطارقين والعابرين من هم خلاصة الأدعياء والمتطفلين ! هذا الرجل ، الذي هو الأدب ، في حاجة إلى صديق طويل اللسان ، ينهر تلك الجموع المتطفلة ، الدخيلة ، التي استغلت سماحة رب البيت ونبل محتده وكرم ضيافته ، فاندفعت من أبوابه وجلست إلى موائده ، في غير ما خجل ولا حياء . . . هذا الصديق الطويل اللسان هو كاتب هذه السطور ، ولا ضير عليه أبداً إذا ما أنقذ الرجل الكريم المضياف من هؤلاء الضيوف الثقلاء ، وألهب ظهورهم بالسياط !

ولتصدقني الأديبة الفاضلة أنني أضيق بأضواء الشموع ، هذه الأضواء الضئيلة ، المزيلة ، التي لا تستطيع أن ترد عادية الظلام .. وإذا كنت قد دأبت على إطفائها فلأنني أوثر أن أحدق في أضواء المصابيح الضخمة ، المتوهجة ، التي يغمر شعاعها كل حنية وكل ركن وكل تعريجة في منعطف الطريق . فلتبق هذه ولتذهب تلك ، ما دمنا نريد للنور أن يقوى على مواجهة العواصف والأعاصير ! هدم للقيم البالية المتداعية يعقبه بناء على ركام الأنقاض ، وإخماد للأضواء الضئيلة المزيلة يشع على أثره كل نور وهاج ... أهذا هو ما ألام عليه وتوجه إلى من أجله فنون الاتهام ؟ شيئاً من العدل ياسيدتي أو شيئاً من الإنصاف !

بعد هذا أقول للأديبة الفاضلة فيما يختص برأيي حول فتياتنا الجامعيات ، إن هذا الرأي القديم لي قد أقمته على أسس من الدراسة النفسية والملاحظة النظرية طيلة أعوام أربعة قضيتها في الجامعة . فأنا إذن لا أنقل عن أفواه الناس وإنما أنقل عن رؤية العين حين تنتهي من جولتها في حدود الواقع المحس ، وعن حكم العقل حين يفرغ من رحلته في نطاق الحاضر المشهود ... وإذا كانت هي قد التحقت بالجامعة ابتغاء لهذا الغرض النبيل ، وهو أن تتزود بسلاح العلم وتنهل من منابع المعرفة ، فمن الصعب أن نستدل بالمثل الفرد على غيره من الأمثال ، حين يكون هدفنا وضع قاعدة عامة لظاهرة من الظواهر أو لمشكلة من المشكلات . إننا لا ننظر إلى حكم الأقلية في مثل هذا المجال ، ولكننا ننظر إلى حكم الكثرة الغالبة ليستقيم منطق التفسير والتبرير !

ولست والله حين أجهر بهذا الرأي حاقدا على المرأة أو منكرا لمكانتها الاجتماعية ، متى وجدت فيها النموذج الكامل والمثل الأعلى في كل ناحية من نواحي الحياة ... ولقد وجدت هذا المثل وذلك النموذج في يوم من الأيام ، وجدته في تلك التي ألهمتني بالأمس قصة « من الأعماق » ولم تلهمني « من وراء الأبد » ، تلك التي ملأت نفسي تقديرا لرسالة المرأة حين تجمع إلى اتساع الأفق سمو الخلق وجمال الروح ... تلك التي تركت ظلها على الأرض بعد أن رحلت إلى السماء ، وآثرت على ضجيج الحياة سكون الفناء والعدم ! !

هذا هو ردي على اتهام الأديبة الفاضلة ، ولها بعد ذلك أن تكون منصفة أو لا تكون ... حسبي أن أقول ما أعتقد ، لا يدفعني إليه رضا الراضين ولا يصرفني عنه سخط الساخطين ، وإنما هي حرية الرأي وجرأة القلم في عصر طبع على الرق الأدبي ، وطغت عليه أمواج الخوف والكذب والملق والرياء ... وللأديب الفاضل صاحب هذه الرسالة أخلص الشكر على تحيته العطرة بأريج الوفاء .

مقال عن ندواتنا الأدبية :

في عدد فبراير من مجلة « الفصول » الشهرية قرأت مقالا طريفا عن ندواتنا الأدبية ، كتبه صديقنا الأستاذ نعمان عاشور

بأسلوب قصد به إلى المرح والدعابة أكثر مما قصد به إلى الجد والوقار

إن خفة الظل وعذوبة الروح صفتان أصيلتان من صفات الصديق الأديب ، ولكنني كنت أوثر ألا تطغى هاتان الصفتان على الموضوع الذي كتب فيه ، لأنه من الموضوعات الجديرة بأن يبتعد في كتابتها عن مثل هـذا الطابع الذي أشرت إليه ، لأن الحديث عن الندوات الأدبية والتعرض لما يدور فيها من ألوان الجدل والمناقشة ، جزء مهم من تاريخ الأدب حين يكون هـذا التاريخ تسجيلا صادقا متزنا لشتى التيارات الفكرية والفنية !

لقد بدأ الأستاذ قاله بالحديث عن ندوة « الجزرة » ، حيث أرسل عدسته اللاقطة لتجوب المكان وتتصفح الوجوه وتعرض الأفكار ، ولكنه كما قال لك يقدم إليك لقطات هدفها الدعابة حين تنتزع المشهد من أعماق الخيال . وحسبه أن يستغل اللقطة البصرية استغلالا طريفا وموفقا في رسم عدد من الصور الضاحكة حيث يختار لها الأطر اللائقة التي يصنعها وفق هواه ، أو وفق طبيعة الموضوع كما أراد له أن يكون ! أما ندوة الجزرة التي تحدث عنها الأستاذ نهان ، فهي الندوة التي يؤثرها بحبه كاتب هـذه السطور ، ومن روادها الأساتذة الدكاترة : عبد الحميد يونس المدرس بجامعة فؤاد ، ومحمد كامل حسين الأستاذ بجامعة فؤاد أيضا ، وعبد القادر القط المدرس بجامعة ابراهيم ، ومحمد القصاص المدرس بنفس الجامعة . ثم الأساتذة الشعراء : محمود حسن اسماعيل وابراهيم محمد نجا ، وابراهيم الوائلي ثم الأساتذة الأدباء : أنور فتح الله ، وزكريا الحجاوي ، ومحمود محمد شعبان ، وكمال منصور . ثم يهبط عليها من حين إلى حين بعض الزائرين من أمثال الأساتذة : السيد أحمد صقر ، وعباس خضر ، ومحمد محمود زيتون ، ونهان عاشور ، وشاكر خصباك

هؤلاء هم رواد الندوة وزوارها ، وهذه هي بعض الصور التي رسمها لبعضهم الأستاذ نهان عاشور : « فهناك في نهاية المكان تعود أن يجلس الشاعر العراقي ابراهيم الوائلي منصرفا إلى كتابة رسالته للجامعة ، والسيجارة لا تفارق شفتيه . حتى إذا جاءت الساعة العاشرة بدأ يبحث عن مستمع لآخر أشعاره ! .. ثم ترى الدكتور عبد القادر القط يجذب أنفاسا من الشيشة في ملال ، ويحاور الأستاذ أنور المداوي ناقد « الرسالة » حول ضرورة العناية بالجانب الفني في كل إنتاج يستهدف غاية اجتماعية ، متهما أنصار الأدب الواقعي بأن إنتاجهم فارغ ومجرد ضرب من نشرات الدعاية ! والأستاذ المداوي لا يطيق الإنصات ، وإنما هو يدفع بنظريته عن « الأداء النفسي » ويضرب على صدور الحاضرين بعرفتيه ليفسح السبيل أمام فكرته ، وكأنه لا يكتفي بتطبيق الأداء النفسي على ما يكتبونه فقط ! والذي تصيبه معظم لكمات المداوي هو الدكتور محمد كامل حسين لأنه يجلس عادة وسط المتناقشين محاولا الحديث في هدوء ، ولكن هل يحظى بالحديث المادي أمام هذا الأداء النفسي المداوي ؟ ! .. وعن بعد يجلس الشاعر محمود حسن اسماعيل . كيف يريدونه بعد كل هـذا المجد أن يشتغل مدرسا في مدرسة ابتدائية ، مع أنه صاحب « أغاني الكوخ » ؟ إنه لا تهمه الدرجة ولا الوظيفة قدر ما يهمه أن يكون عضوا في اللجنة التي تختار ما يقرر من شعر على تلاميذ المدارس ! .. ومن الطرف الآخر تلمح زكريا الحجاوي وهو يطلق على تبلد الجالسين من لاعبي الطاولة وتبلدهم . فإذا أخطأ واحد وتكلم في الفن والأدب انفجر الحجاوي في هدير صاخب ، يحدثك عن الأدب المصنوع والأدب الذاتي الموضوعي ، والصلة بين الكون والفنان وأثر ذلك كله في موسيقى سيد درويش الحاصل على دكتوراه من الله ! ... ثم أنت ترى الأستاذ أنور فتح الله في يده اليسرى مبسم الشيشة ، وفي اليمنى قلم وأمامه مسرحية فرنسية يترجمها ، وكلما ترجم صفحة تلفت يبحث عن مستمع وإذا لم يكن يترجم فهو ينقد ، باعتباره من خريجي معهد النقد ، أي ناقد مؤهل رسميا ! ... وبجواره الأستاذ محمود محمد شعبان — غير بابا شارو كما يقدم لك نفسه — يحاوره في أدباء الصحافة اليومية وما ينتجون من أدب فارغ . وشعبان أديب متخصص في كسب جوائز وزارة المعارف العمومية ، وقد حصل في سنة واحدة على ثلاث جوائز !

وفجأة يهبط على الجالسين عزت حماد منصور ، وهو أديب ساخط متهكم : ما فائدة الأدب وما فائدة النقد ؟ ثم إن واحداً لا يقرأ إنتاجهم فليس في البلد قراء ، لماذا يتعبون أنفسهم ويرهقون شبابهم ؟ أليس الأجدى لهم الإنصراف إلى حياتهم

الخاصة ينظمونها ؟! فإذا سألته : لماذا ظل يكتب هو نفسه ؟ أجابك ساخراً : مرض ! ... ثم تخرج من القهوة لا يخالجك شك فى أن ما يقوله إن هو إلا تنفيس عن الركود الذى يشيع فى حياتنا الإجتماعية ذاتها ولو حاولت أن تقنعه بذلك لأصر على وصف أدباء الندوة بأنهم جماعة من الفدائيين » !

هذه هى « عينة » من كلمات صديقنا الأستاذ نعمان ، أما صديقنا الآخر الأستاذ عزت فهو أديب ساخط متهكم حقاً، يتناول الحياة والأحياء بأسلوبه الساخر اللاذع ، ثم لا يعفى نفسه من مثل هذه السخرية الساخطة فى كثير من الأحيان ، حتى لينتزع الضحكة الصاخبة من أكثر الوجوه قدرة على التجهم والعبوس فهو مثلا إذا شكا سوء حظه فى الحياة قال لك : « صدقنى أنه لو قدر لى أن أكون بائع طرابيش ، لتعمد الله أن يخلق أناساً بغير رءوس » !! .. وحدث أن هبط على النـدوة ذات مساء فأسر إليه أحد الجالسين فى خبث ، أن الأستاذ عاشور قد شتمه فى مقاله عن « الندوات الأدبية » ، وحين علم صاحبنا أن المقال قد نشر فى مجلة « الفصول » تحول إلى كاتب المقال ليقول له : « أنا متشكر يا أستاذ نعمان .. لأنك شتمتنى فى سرك » !!

والتفت إلى الأستاذ نعمان يسألنى عن معنى النكتة .. ثم أغرق فى الضحك وأغرق معه الحاضرون ، حين قلت له : إن معنى النكتة أنك شتمته فى مجلة لا يقرأها أحد!!

حول شاعر من السودان :

أخرجت إلى حيز الوجود مذهب « الأداء النفسى » الذى تجاوبت أصداؤه فى أرجاء العالم العربى ، وربط بين كثير من أدباء العروبة برباط الحق والخير والجمال ... وقد عرفنا الأداء النفسى أصدق محك تتناول به القيم الفنية والأدبية ، فإما أن تخرج من لمسات المبضع تقطر روعة وقوة ، وإما أن تخرج وهى كومة من الهشيم تذروها الرياح !

ولا أثقل عليك يا سيدى فاعجابى بك لا تصوره هذه الكلمات واسمح لى أن أخاطبك فى الأمر الذى كتبت إليك من أجله ... التيجانى يوسف بشير شاعر سودانى لم يترك من الآثار الأدبية سوى ديوانه « إشراقه » وإنى لألتمس من الأستاذ الناقد أن يضعه على مشرحة النقد ويسلط عليه أضواء قلمه ، لنفهمه كما يجب أن يفهم . وأخيراً تحياتى وإكبارى

« أم درمان — المعهد العلمى » وراعز عكور

أود أن أشكر الأديب الفاضل كريم تقديره ، أما عن رغبته فى أن أكتب عن شاعر السودان الراحل فيؤسفنى أن ليس بين يدى شىء من شعره ، كما يؤسفنى مرة أخرى أن أسمع عنه من قبل دون أن أقرأ له ... إننى لن أتأخر عن النظر فى ديوان هذا الشاعر إذا ما تفضل أى قارئ من قراء « الرسالة » وبعث إلى به ، ولن أتأخر عن الكتابة عنه متى وجدت فيه تلك الومضات المنشودة من ذلك الأداء الذى دعوت إليه

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

من هم العرب المقصرون ؟ :

أقام الأستاذ أسعد داغر السكرتير العام لجمعية الوحدة العربية — حفلة شاي لتكريم سمو الأمير فيصل آل سعود ، في نادي الجمعية بالزمالك يوم الأربعاء الماضي . وبعد تناول الشاي ألقى الأستاذ داغر كلمة عبر فيها عن ألمه لما صارت إليه فلسطين ولسوء الحال في الموقف العربي الحاضر الذي لا يراه خيراً مما كان ، نظراً إلى الخطر المتوقع من جانب الصهيونيين المضطرين إلى توسيع رقعة إسرائيل حتى تتسع للاجئين إليها من يهود العالم

وقد عزى الأستاذ ما منينا به من الهزيمة إلى ضعف الوطنية الذي قعد بنا عن البذل والتضحية، وقال بضرورة العناية بتكوين المواطن الحقيق ، ليكون لبنة قوية في بناء الأمة العربية . وقد أعقبه الأستاذ توفيق دياب بك بكلمة حماسية فياضة ، أيد فيها الأستاذ داغر من حيث تكوين المواطن العربي الصالح . ثم تحدث سمو الأمير فيصل حديثاً هادىء النبرات قوى المعاني ، صرح فيه بتقصير العرب وتهاونهم ، مشيراً إلى اصبع الاستعمار في ذلك اذ قال سموه : لي رجاء واحد هو أن نتناسى المشاحنات التي ورثنا الاستعمار إياها وغرس بذورها للقضاء على وحدتنا ، هذه الحزازات هي السم الذي دسه لنا العدو في دمائنا وأفكارنا

وهكذا أجمع خطباء الحفلة على أننا جميعاً مقصرون . وأنا أريد أن أفهم المقصود من الضمير « نا » في « أننا » وهل هو يشمل العرب كلهم شعوباً وحكومات ... ثم أسأل كيف قصرت الشعوب ؟ وأوجه السؤال إلى الأستاذ داغر الذي رمى المواطنين العرب عامة بضعف الوطنية ، وإن كنت ألتمس له العذر من حيث مراعاة المقام الذي يحضره شخصية رسمية كبيرة .

إن الأمر لا يرجع إلى تاريخ بعيد ، فقد رأينا إبان الحملة العربية أو المصرية على الصهيونيين — رأينا المشاعر تتوقد والهمم تتوثب ، استبسل الجيش جنوده وضباطه، وهرعت وفود المتطوعين إلى الجهاد ، وجاد الكثيرون بأموالهم . ولقد استشرى الحماس في جموع الشعب بالقاهرة إلى حد التهور والاعتداد المخطىء . وكان يصل إلينا صدى مشاعر الغضب الذي كان يبديه إخواننا في كل بلد عربي يلتوى ساسته فيتقاعس جيشه

ولم يفسد الأمر كله إلا رجال الحكم والسياسة أو الذين جرى في دمائهم السم المدسوس من قبل الاستعمار . إن التبعة كلها تقع على الحكومات ومن ورائها الاستعمار . وإذا كان اليهود أخفقوا في تسميم الآبار فإن المستعمرين نجحوا في إطلاق الجراثيم على بعض المسئولين ، والجراثيم أنواع لا أرى حاجة إلى تفصيلها

حتى الجامعة مظلومة — فإني لا أذهب مع المغالين في لومها إذ أرى أن كل اضطراب فيها وكل اختلاف في لجانها إنما هو انعكاس لأغراض واتجاهات الحكومات المختلفة ، ولن تكون الأمانة العامة مسئولة حقاً حتى يكون لها جيش وسلطان

أما المواطنون العرب فإنهم لم يقصروا ، وإن لوحظ فيهم ضعف فإنما هو من ضعف مقوماتهم الاقتصادية والاجتماعية وسخطهم على المفترين بزخرف الحياة الدنيا ، والتكوين الحقيقي لهؤلاء المواطنين إنما هو بإزالة هذه الأسباب قبل كل شيء

وأوجه كلمة صغيرة إلى الأستاذ أسعد داغر باعتباره السكرتير العام لجمعية الوحدة العربية ، وإلى غيره من رجال العروبة « غير الرسميين » تلك الكلمة هي الاتجاه — في الدعوة إلى البعث العربي — إلى المواطنين من شعوب العرب لتكوين رأى عربي عام منظم يرفع صوته ويعمل ما في وسعه لخير العرب ، بل أقول: لتوجيه الحكومات

أولئك المواطنون وذلك الرأي العام المنشود ، هم الذين نمنيهم ونحس بوجودهم حينما نتفاءل وحينما تداعبنا الآمال في مستقبل الأمة العربية

هل نحن مثقفون بالثقافة الإسلامية ؟

التقيت أخيراً بشخصية كبيرة من الباكستان في مجتمع

بالقاهرة ، ودار بيننا حديث شاقنى فيه أن الرجل ينظر إلينا - معشر المصريين - وإلى بعض شؤوننا التى لا نلتفت إلى ما فيها من عيوب لألفتنا إياها ، نظرة المستشرف المبرأ من هذه الألفة الساترة ... وقد ناقشته فى بعض الأمور ، ولم يسعنى إلا أن أسلم بأكثر ملاحظاته ، مع إعجابى بروح الأخوة الإسلامية التى استشعرتها فى حديثه ونبراته ونظراته الفياضة بالإيمان العميق

قال : نحن نسمع عن مصر باعتبارها زعيمة الدول العربية والإسلامية ومركز ثقافة العرب والإسلام ، فنشتاق إلى أن نقتبس منها ونغترف ، ولكنا نجئ إليها فنجد فيها كل شىء أوربيا ، فالحالة الاجتماعية كما تعرف ، وصحفكم ومجلاتكم مملوءة بما تعلم وقد حضرت بعض الحفلات الكبيرة التى تضم كبراء ووزراء وأجانب فهالنى أن أرى مثلا فى إحداها راقصة مصرية - وقد عرفت أنها مسلمة ! - ترقص شبه عارية ثم قال لى : أين الثقافة الإسلامية والعربية عندكم ؟ -

رحت أحدثه عن مظاهر ثقافتنا العربية الإسلامية مشيراً إلى أن إخواننا الباكستانيين لا يطلعون عليها لعدم إجادتهم اللغة العربية . ولكن الرجل بادرنى بقوله : أنت تقصد الكتب ! أنا أعنى أثر هذه الثقافة فى النفوس وطابعها فى الحياة ...

قلت : لا أنكر أننا نأخذ كثيراً من أوربا فى حياتنا وثقافتنا ، وهذا شئ طبيعى ، فاحتكاك الحضارات وتفاعلها مسألة مفروغ منها

قال : هذا حسن لو أنكم تأخذون ما يفيد ، ولكنى أراكم تأخذون كل شىء وأكثره سيئ لا يتفق مع روح الإسلام ، ونحن فى الباكستان لم يستطع الأجانب أن يحولونا عن روح الدين الحقيقية ، ولم نأخذ عنهم إلا ما يفيد من علومهم وحضارتهم

قلت : إنكم تحكمون بناء على اختلاطكم بالبيئات التى يسمونها طبقات راقية

قال : كلا ، لقد جلت فى مختلف أحياء الشعب وصليت فى مسجد الحسين ومسجد السيدة زينب وغيرهما . ومما لاحظته أن الطبقات الفقيرة لا تستنكر ما يأتيه الأغنياء من المفاسد ، وإنما تنظر إلى هذه المفاسد نظرة المحروم الذى لو وجد المال لما تردد ... ويمضى

كشكول الأسبوع

□ احتفلت جامعة فاروق الأول فى يوم عيد الميلاد الملكى السعيد ، بتوزيع جوائز فاروق الأول للبحوث العلمية لسنة ١٩٥٠ ، برياسة معالى الدكتور طه حسين باشا ، وقد وزعت الجوائز ، فنال جائزة علوم الحياة الدكتور حسن شاكر أفلاطون بك عن كتاب فى الذباب والحشرات ، ونال الجائزة الأخرى الدكتور نجيب محفوظ باشا عن كتاب فى أمراض النساء . أما العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية فلم يفز بجائزتيهما أحد ، لأن الأبحاث التى قدمت لا تستحق الإجازة .

□ قرأت كلمة بجريدة « النبأ » العراقية تساءل فيها كاتبها « دعبل » : أى اللقبين أكبر لطه حسين : صاحب الأيام أو صاحب المعالى الباشا ؟ وقال : حسبنا أن أصحاب المعالى أصبحوا لا يحصون ولكن ليس للعرب « مؤلف أيام » ثان .

□ استأذن المسيو ماموناس مندوب الرابطة اليونانية العربية ، معالى الدكتور طه حسين باشا فى ترجمة كتاب « الأيام » إلى اليونانية ، فأذن معاليه بذلك . ومما يذكر أن معاليه يعتزم السفر إلى اليونان فى شهر مارس القادم لتسلم درجة الدكتوراه الفخرية التى منحتها إياه جامعة أثينا وسيبحث معاليه خلال الزيارة مسألة توطيد العلاقات الثقافية بين مصر واليونان .

□ كانت ذكرى المغفور له الشاعر الكبير على الجارم بك يوم الخميس الماضى ، وقد احتفلت بها محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية ، فأذاعت قصائد مسجلة بصوته ودراسة لشعره وفنه القصصى . أما محطة الإذاعة المصرية فقد رأت الاكتفاء بعشر دقائق تلقى فيها مختارات من شعر الفقيد الكبير . وذلك لأن البرنامج كان مشغولا بعزف على الجبش وغناء لعبد الغنى السيد ولورد كاش ...

□ ينعقد الآن فى كراتشى مؤتمر إسلامى يتكون من بعض الشخصيات الاسلامية ومندوبى الهيئات فى بلاد الاسلام . وفى مقدمة المسائل التى يشتمل عليها جدول أعماله اتخاذ اللغة العربية لغة دولية مشتركة للدول الاسلامية . وقد ألقيت فى المؤتمر خطبة لأغا خان ناشد فيها الباكستان أن تتخذ العربية لغتها الرسمية .

□ قرر مجلس المعارف الاستشارى بالعراق إلغاء بعض الكتب المقررة للقراءة والاستعاضة عنها بكتاب من الكتب الأدبية الآتية لتدريسها فى المدارس الثانوية ، وهى النظرات للمنفلوطى وآلام فرتر ورفائيل للزيات والأيام أو على هامش السيرة لطه حسين .

□ يشكو الأساتذة المحاضرون بالجامعة الشعبية من تأخير أجورهم من اكتوبر الماضى إلى الآن .

هذا الوازع الإسلامى الذى يتحكم فى الأعمال والتصرفات والذى يؤسفنى أنى لم أعثر عليه

وسكت الرجل المسلم ثم قال : أحدثك بشئ حدث ، لا يخلو من نكتة لطيفة ، فقد اتجهت الرغبة الباكستانية إلى الانتفاع ببعض النشاط المصرى فى ناحية الفن السينمائى ، فأرسل بعض الأفلام المصرية لتعرض هناك . فلما عرضت على الرقيب قبل عرضها أبدى دهشته قائلا: أهذه أفلام أنتجت فى بلاد مسلمة .. ؟ أنا لا أصدق أن هذه أفلام مصرية ! إنها من صنع اليهود ... يقصدون بها الإساءة إلى سمعة مصر ! !

تأبين حافظ عوض بك

احتفل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بتأبين المغفور له الأستاذ أحمد حافظ عوض بك يوم الأربعاء الماضى بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية وقد ألقى الأستاذ عباس محمود العقاد كلمة التأبين التى استغرقت نحو نصف ساعة، أتى فيها بدراسة دقيقة وافية للفقيد . وخاصة ما يتصل بأدبه وثقافته ومكانته فى جيله . بدأ الأستاذ بقوله :

يتفق للكثير من النابغين والنابهين أن تختار لهم الحوادث غير ما يختارون ، وأن يندموا على الواقع ثم تنجلى سيرتهم كلها عن الحقيقة التى احتجبت عنهم فى مطلع الحياة : وهى أن الخيرة فى الواقع الذى لم يطلبوه ولم يتوقعوه . ورأينا مثلا لهذا فى حياة فقيد كريم نعيناه قبل نحو سنتين ، وهو الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى ، ونرى اليوم مثلا آخر له فى فقيد اليوم الأستاذ أحمد حافظ عوض بك رحمهما الله

كلاهما لم يقصد إلى الاشتغال بالتعليم والصحافة فى نشأته الأولى وكلاهما قد انتهت به خبرة الواقع إلى الاشتغال بالتعليم ثم بالكتابة فكان فى عالم الكتابة علماً من الأعلام . ثم قال : فقد عاش حافظ بسليقة المعلم والكاتب فى كل يوم من أيامه ، وكتب ليعلم فى كثير من رسائله ومقالاته ، بل لعله كان يتحدث ليعلم ويمتزج بالخبرة التى تسوغ له التعليم وتشفع له فيه ، فأطلق عليه أصحابه ومؤيدوه وزملاؤه فى الصحافة اسم « المعلم »

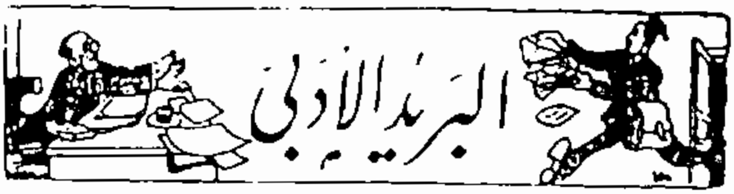
وتحدث الأستاذ العقاد عن أسلوب الفقيد فى الكتابة والموضوعات التى كان يتناولها ، فقال إن كتابته الصحفية كانت تتسع للسياسة وغيرها ، ومنها ما هو بعيد عن الموضوعات التى تعود الصحفيون أن يطرقوها فى الصحافة اليومية . وكان أسلوبه فى السياسة أطبع ما يكون حين يتخذ له موضوعا من موضوعات النقد التهكمى والتصوير الفكاهى ، وهى طريقة كان رحمه الله يحسنها ولا يتعدى بها أن يضحك القراء من المنقود دون أن يجرحه أو يؤذيه ، أما أسلوبه فى الأدب فقد كان أطبع ما يكون حين يصف شعور الحنان والعاطفة الشجية . وقد امتاز أسلوب الفقيد فى الموضوعات جميعاً بالصفاء والسلاسة ، وشفت كتاباته عن مصادر ثقافته فى اللغات الأوربية واللغة العربية

وتحدث الأستاذ العقاد عن مصادر ثقافة الفقيد الغربية والعربية واستدل على ثقافته العربية ببعض ما كتبه فى رسائله إلى ولده ، ومن ذلك قوله فى بيان الطريقة التى جرى عليها فى دراسة دواوين الشعراء : « كنت أعد لكل شاعر دفترا صغيرا وأنقطع ساعة أو ساعتين لتصفح ديوانه فأقرأ القصيدة مرة واحدة وأتصور عند تلاوة كل بيت من أبياتها ما إذا كان من الممكن أن أحتاج إلى هذا البيت أو ذلك المصراع للاستشهاد به فى موضوع إنشائى أو فى خطاب رقيق لأديب من أصدقائى أو فى واقعة حال أو فى إشارة إلى شئ مما كنت أتخيله فى نفسى فإن وجدت فى البيت أو فى أحد مصراعيه أو فى تعبير منه ما أظنه ينفعنى قيدته فى دفترى » وعلق الأستاذ العقاد على هذا بقوله : والذين عرفوا الفقيد يعرفون أنه كان فى أحاديثه كثير الاستشهاد بالأبيات والمقطوعات فى مناسباتها ، وكان يقدم لأحاديثه أحيانا بالبيت والأبيات حيث تقع من موقعها وتنبئ بالحديث الذى يتلوها ، وأذكر أننى تيقظت ذات ليلة على دق التليفون فإذا بصوت حافظ بك يناديني :

يا نائم الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

وكان ذلك ليلة أن صدر الأمر بتعطيل الصحيفة التى كنا نكتب فيها ، فعلمت جلية الخبر من المصراع الأول قبل تمام البيت

وختم الأستاذ العقاد هذه الدراسة الوجيزة الشاملة بقوله : وأوجز ما يقال فى تقدير الزميل الفقيد وتكريم ذكراه ، أنه رحمه الله كان فى طليعة الرواد المصريين لفن القصة الاجتماعية ، وكان



الدخان فى الشعر

غريب أن لا يتناول شعراؤنا (شرب الدخان) فى شعرهم وقد بلغ من سرعة الانتشار هذا المبلغ العظيم فما وصفوا الدخان وهو يتصاعد من لفافته كسحائب الصيف ، ولا صوروه وهو يخرج من فم شاربه كزفرة العاشق أو نفثة المصدور ، ولا دعوا الناس إلى الإقبال عليه بمدحهم لنافعه وإطرائهم فوائده ، ولا صرفوهم عنه بسردهم عيوبه ومضاره ، على حين أنهم مابرحوا ينظمون فى الخمر واصفين ومادحين وهاجين ، وهم يعلمون أن السابقين قد بلغوا المدى فى ذلك كله

فإلى هذا الموضوع الخطير أدعو رجال الشعر وأرباب القريض

الاسكندرية فتحى بسيونى دعبس

تاريخ البرعى الشاعر

السلام عليكم وبعد ، جاء فى العدد ٩١٦ فى ص ١١٠ عند كلام الأستاذ حامد الجرجاوى على نشأة البديعيات أن العارف بالله عبد الرحيم البرعى توفى سنة ٤٨٠ — وقد ذكر السيد زبارة فى ملحقه على البدر الطالع أن وفاته سنة ٨٠٣ — والفرق يزيد على ثلاثة قرون — وذكر السيد الزبيدى فى شرح القاموس فى مادة « برع » سيدى عبد الرحيم ولكنه لم يذكر سنة وفاته بل قال إنه من المتأخرين

فهل يتفضل الأستاذ حامد الجرجاوى بأن يخبرنا عن المصدر الذى رأى فيه أن وفاة البرعى كانت سنة ٤٨٠ ، فإن البرعى على

له نصيب مشكور فى القيام على عهد المخضرمة بين مرحلة التقليد ومرحلة التجديد ، وسهم مذكور فى التعريف بتاريخ هذه الأمة ردحا من الزمن ينبه القراء إلى تواريخها فى جميع الأدوار ، وأنه زود العربية بذخيرة من المفردات لا غنى عنها للألسنة والأقلام

عباس خضر

شهرته تكاد سنة وفاته تكون فى حكم المجهول فإذا جلاها لنا الأستاذ الجرجاوى فإنه يحسن صنعا

عبد السلام النجار

(الرسالة) : يظهر أن هناك خطأ فى نقل الأرقام ، ولعل صوابها ٨٠٤

أخطاء شائعة

جاء فى « مغنى اللبيب » للعلامة « ابن هشام » أن « قد » لا تدخل على الفعل المنفى ، ولم يذكر خلافا فى ذلك . ولكن « ابن مالك » قال فى ألفيته فى آخر بيت من أبيات باب « الممنوع من الصرف »

ولاضطرار أو تناسب صرف ... ذو المنع والمصروف قد لا ينصرف

فأدخل « قد » على الفعل المنفى

فهل يفهم من ذلك أن « ابن مالك » لا يرى مانعا من دخول « قد » على الفعل المنفى ؟ أم أنه أخطأ فقال هذا من غير قصد ؟ . الظاهر الثانى

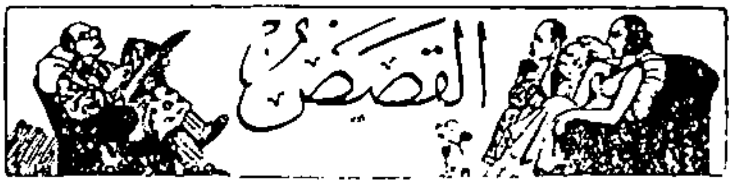
وجاء فى مقال بالهلال للسيدة « أمينة السعيد » تحت عنوان « ذكريات حواء فى الجامعة » : « ... أحب الحياة وأكره أن أخفى عن الناس حبى لها طالما كان ضميرى مستريحا ... » والصواب « ما دام ضميرى مستريحا » إذ أن « طالما » التى معناها « كثيرا ما » لا يمكن أن يكون لها معنى هنا .

قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

وجاء فى مقال بمجلة « الحديث » للأستاذ « محمد شعبان » تحت عنوان « نظرة فى كتاب أغانى القبة » : « أجمع العلماء على استحسان تكرار حرف النداء مع التوابع المستقلة سيما إذا تعددت .. »

والصواب « ولا سيما إذا تعددت » فقد جاء فى « مغنى اللبيب » عند الكلام على « لا سيما » : « وتشديد يائه ودخول « لا » عليه ودخول « الواو » على « لا » واجب . قال ثعلب : من استعمله على خلاف ما جاء فى قوله « ولا سيما يوم بدارة



لحن الوداع ...

للأستاذ عبد القادر حميدة

كانت الساعة الرابعة مساء ... حين نزل موزع البريد عن دراجته ... أمام ذلك المبنى الهائل القابع بميدان سليمان باشا ... ودلف من باب العمارة الضخم ... ثم ألقى نفسه بالطابق الثالث يضغط على جرس الشقة رقم ٤ ...

وناول الخادم رسالة رجا منه أن يؤديها لسيده ...

وفضها الدكتور وطفق يلتهم سطورها فى لهفة ...

وفجأة تقلصت عضلات وجهه ... وشحب لونه ... واتسعت حدقتا عينيه ... وزاغتا بين العبارات فى ذهول وشرود ... ثم فركهما ... وأنعم النظر ثانية فى الرسالة غير مصدق ما تطالعه به حروفها ...

وتناول معطفه ... وغادر العيادة ... وفى كيانه ثورة جامحة تنتفض وتهزه هزا عنيفا ... وتتدافع من عينيه ألسنة من لهب صارم جبار ... وهو يردد فى إصرار وتحد بين آونة وأخرى ...

يا إلهى ... أيمكن أن يحدث كل هذا ؟!

وهناك فى منزله ... ألقى على زوجه نظرة قاسية عنيفة ...

جلجل » فهو مخطئ . انتهى »

وجاء فى المصباح المنير » : « ولا تستعمل إلا مع الجحد ، ونص عليه أبو جعفر أحمد بن محمد النحوى فى شرح المعلقات ولفظه : ولا يجوز أن تقول جاءنى القوم سيما زيد حتى تأتى بلا لأنه كالاستثناء . وقال ابن يعيش أيضا : ولا يستثنى بسيا إلا ومعها جحد . وفى البارع مثل ذلك ... الخ »

أحمد مختار عمر

إلى أستاذنا الزيات :

كنت ولا أزال من المعجبين بأسلوبك الرائع الأخاذ ، ذلك الأسلوب الساحر ذو الجرس الفاتن البليغ ، الذى يمسك على قرائك زمام تفكيرهم فينقلهم إلى عوالم الحق والخير والجمال . ولا أحابيك أو أداجيك إذا ما قلت إنك أثير لدى — على رغم إيجازك — أكثر من أندادك الكتاب الذين لا يستطيعون التعبير عن أفكارهم إلا بالأطناب والتطويل ... وهو مالا يرضاه البليغ الواقف على أسرار العربية . وقد زاد هذا الإعجاب حتى بلغ الذروة يوم أشرقت علينا « رسالتك » الحبيبة ، وهى تحمل لدنيا الناطقين بالضاد افتتاحيتك الجبارة الموسومة بـ « ثوروا على الفقر قبل أن يثور » ! لقد كانت — والله شاهد على ما أقول — درة الأمة فى جيد الرسالة — قرأتها مرات وفى كل مرة كانت تسمو فى عينى وفكرى حتى ارتفعت إلى قمة لم تبلغها مقالة كاتب من قبل

وقد تعجب وتقول : وما مرد هذا كله لدى شاعر يعيش فى أفق الوهم ؟! أما أنا فاسمح لى أن أهمس فى أذنك بكلمة واحدة : هى أنك الآن استطعت أن تعبر عن شعور ملايين من الشعوب العربية المبتلاة بأرباب المناصب والألقاب ، الذين ما وصلوا إلى كراسيهم تلك التى ذكرتها إلا بجهود الأيدى العاملة وغفلة عقولهم فما ذكرته عن مصر هو هو بعينه فى العراق . فهل لك أن توجه إلى وزرائنا الذين لا يزالون يعيشون فى أبراج عاجية ، مقالا كمقالك « ثوروا على الفقر قبل أن يثور » ؟!

صدقنى ياسيدى أنك بعملك ذاك ترضى هذه الملايين التى تعيش على ضفاف الرافدين ، إرضاء يجعل من اسمك عندهم أغرودة عذبة الرنين ! فهل آمل على يديك خيراً لهذا الشعب المسكين الذى يتنعم برفاه الجهل ، وظلال الفقر ، وعز المرض ... بهمة وزراء المعارف والشؤون الاجتماعية والاقتصاد ؟ !

وعليك ياسيدى منا السلام . ولك الشكر والإعجاب

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

تصويب :

وردت شطرة على غير وجهها فى أحد أبيات قصيدة (صحراء العجائب) المنشورة فى العدد الماضى لالتباس التصحيح وصوابه كالآتى : —

به سحنة الواشى ، لها سبع أعين لها سبع آذان ، وسبع حقائب !

تركزت فيها مشاعره الثائرة ... قائلا بصوت أجش فيه صرامة واعتداد ...

الليلة سأغادر القاهرة ... لمسائل خاصة بعملى .. وسأعود بعد أربعة أيام ...

وحاول أن يترصد فى أعماقها ... ليستشف ما أحدثه وقع الخبر على سمعها ... لكن صوتا رقيقا كأنه النغم العذب همست به شفتاها انساب إلى أذنيه فى هدوء حالم ..

— وهل أغضبك يا حبيبى أن القدر سيختلس أربعة أيام من حياتنا السعيدة ، ويحرمنا سماع ذلك اللحن الخالد عندما تتهامس شفاهنا .. وتلك الأنغام العذبة عندما يبسم ثغرك .. ويخفق صدرك ... وأنا ملتصقة بك . ألوذ بأحضانك ..؟

الله معك .. وطيفك معى ... سأتخذ منه رفيقا يهدهد صدرى ... ويرفرف على بجناحيه ... حتى تعود ...

وانبرى يريد أن يقول شيئا ... لكن الكلمات ماتت على شفتيه ... ولم يدر كيف اغتصب تلك الابتسامة المصطنعة — وهى تمد أناملها البضة لتجفف دموعها التى انسابت غزيرة على خديها — وقال فى خبث ودهاء . هو كذلك يا حبيبتى ... ولكن ما حيلتنا ؟

والآن ... أود أن تسمعيني لحن الوداع الذى وضعناه معا فى لحظة ما ... على ألا تنتهى منه حتى أكون قد بعدت عن البيت تماما .. لعل أجد فى سماعه ما يهون ضخامة الفجوة التى ستباعد بينى وبينك طيلة الأيام الأربعة ...

وجلست إلى البيان تعزف عليه بأناملها المرهفة... فتصاعدت أنغام حزينة رائعة تفيض سحرا وحنانا وتتمثل فى إيقاعها روعة الفرقة وألم البين

بيد أنه عندما تركها لم يكن قد خرج ولكنه دلف إلى حجرة مكتبه فى انسياب الثعبان؛ وعندئذ أحكم رتاجها فى حذر وران الصمت الرهيب على أرجاء البيت فبدا فى سكون مدينة الأموات

كان النهار قد رقد بين أحضان الليل . .

والقمر قد صب شعاعه الهادئ الحنون على الكون ..

والخائن قد استسلمت إلى مداعبة الأنسام الرطبة ...

كما كان هدى مستسلما إلى أفكاره الحائرة ...

إنه الآن يستطيع أن يفعل شيئا ...

إنه يستطيع على الأقل أن يقف على جلية الأمر ...

ونزع يده من جيبه وهى مطبقة على الرسالة .. وانكب عليها ضوء القمر الحالم خلال النافذة فقربها من عينيه وقرأها للمرة العاشرة ..

وخيل إليه أن أتونا مستعرا يصهر أعصابه حين نظر إلى ساعته وأدرك أنه لم يبق سوى ستين دقيقة يحسم بعدها موقفه من زوجه الخائنة كما تطالعه الرسالة بالموعد الذى سيلقاها فيه شريكها فى الإثم ..

وخلال ذلك الصراع العنيف الجبار الذى اكتنفه وتنازعه طويلا وقع بصره دون قصد على إطار جميل يضم بين زواياه صورة زوجه ...

فانقض عليها ليحطمها ، لكنه خاف أن يحدث ضجة تفسد عليه خطته ، وتكون حائلا بينه و بين الحقيقة السافرة التى سوف تنبلج بعد قليل فتراجع . وأذهله الزمن عن حاضره لحظات اندفع به فيها إلى أركان الماضى البعيد والقريب ... ومن ثم تراءت له أحداث ووقائع راحت تتدفق على ذهنه المكدود حتى انتهت به إلى سمير تلك الخيانة المخيفة ...

كان طالبا بالسنة النهائية بكلية الطب حين برزت فى حياته « ميرفت » و « ميرفت » مثال خلاب من الفتنة الطاغية يتمثل فى وجهها سحر الشرق العنيف ، وجمال الغرب الفتان ، ذات عينين عميقتين زرقاوين ، وشعر كأسلاك الذهب ، ينسدل فى تماوج على عنق من العاج ، تزينه بشرة كأنها المرمر ...

وكان صاحبنا قد قرأ فيما قرأ مقطوعة شعرية رائعة للشاعر ألفريد دى موسيه يصف فيها محبوبته ... فكمنت فى أعماقه تلك الصورة الشعرية ، وتأثر بها أيما تأثر، فبات يحلم بفتاة، أى فتاة، يرى فيها خياله وحلمه ..

ولم يتردد فى حب ميرفت حين وجدها على الصورة البارعة التى خلقها فى ذهنه الشاعر الفرنسى ، وكأنها هى الأخرى شعرت بما يحمله لها بين حنايا ضلوعه ، فكانت إذا قابلته عند ذهابه وإيابه من الكلية ـ تتضرج وجنتاها وتغض من بصرها ...

أما حيلته هو فى هذا الحب فكان يستلقى على فراشه ليستعيد الدقائق التى مرت بهما فى مقابلة عابرة ... ويجنح إلى الخيال المريض ، فيودع طيات حبه أمنيات كثيرة ، ويشيد عليه كثيرا

من أهداف مستقبله ، وتعددت المقابلات …

وارتفعت درجة حرارة هذا الطارئ الجديد …

من نظرة مختلسة بادئ الأمر ، إلى كلمات تتقمصها بعض الجرأة ، إلى رسائل الغرام الملتهبة ، حتى التقيا في خلوة هادئة بعيدة عن أنظار الفضوليين …

في الحدائق ، وعلى شاطئ النيل ، وتبادلا أعذب ألفاظ الحب والهيام …

ووسط تلك العاطفة الفياضة … ارتبطا معا بوعد الزواج …

وحصل حمدي على إجازته الجامعية … واتقدمه اليمن كان من الطلبة الذين حازوا شرف إيفادهم إلى الخارج …

لم يسر لتلك المنحة الجامعية التي تمده لمستقبل زاهر ، بل ظن أن الدهر يريد أن يحرمه سعادته – وإذا كان القدر ينقل خطانا كيفما يعن له … وما نحن إلا دمى ضئيلة تترنح تحت معوله – فلا ضير عليه أن يدخل بأنفه ليبدد الحلم الذي تحقق أو كاد. بيد أن الذي هدأ من روعه أن معبودته الفاتنة انتزعت من رأسه فكرة الإحجام عن السفر إلى الخارج … وفتحت أمامه باب الأمل على مصراعيه . إن حمدي يذكر جيدا تلك الليلة ، ليلة السفر ، وإن شيئا هاما ليظل عالقا بذهنه حتى الموت … إنه اللحن الخالد ، لحن الوداع ، الذي وضعاه معا وهما سابحان في رحلة حالمة بين أطباق نفسيهما العليا وأغوارها المتباعدة …

وإنه ليذكر أيضا … تلك الرسالات المعطرة التي كانت تبعث بها إليه في بلاد الغرب ، تطمئنه أن قلبها لن يسع إنسانا غيره ، وأنها قد أغمضت عينيها عن جميع شباب هذا الجيل …

عاد حمدي إلى أرض الوطن ، بلد الحبيب مزهوا بما ناله من علم ، وما ينتظره من سعادة …

وصارح والده برغبته في الزواج من ميرفت فوافق على الفور .

وشهدت القاهرة ليلة من ليالي العمر ، تزوجا فيها ، وبلغا أقصى أمانيهما …

وانقضت سنة أنجبا فيها طفلا …

وجاء اليوم المشؤوم الذي جاءته فيه الرسالة …

إن موزع البريد لم يخطئ حين أعطاه إياها برغم أنها مكتوبة بعنوان زوجه . كل الذي يدركه أن القدر أراد أن يمنحه الفرصة السانحة لينتقم لشرفه المثلوم الذي كان يقدسه ويقدره …

ترى … إلى أي مدى وصلت علاقتها « بصلاح » هذا الذي ذيل الرسالة باسمه القذر ، والذي سوف يمحى من قائمة الأحياء بعد قليل ؟

وما كنه هذه العلاقة ؟ وكم من الآدميين أدركوا أنه زوج غافل مخدوع ؟ وأيقظه من غفوة أفكاره قرع خفيف على الباب الخارجي … فيه خوف واضطراب …

فانفجر بين خواطره بركان هائج ثائر يقذف بالحمم . وأدرك لتوه أن الساعة قد اقتربت ، وأن الموعد المضروب قد أتى به ركب الزمن …

وزاد من يقينه وقع خطوات مرتجفة اندست إلى مخدع الزوجية المدنس …

وابتدأ حبل الشيطان يلتف حول جسده …

واستولت عليه قوة مفاجئة جعلته يخطو إلى الردهة في تباطؤ وحذر …

لكن بريقا حادا التمع أمام ناظره ، فحول بصره ليستقر على مسدس رابض فوق مكتبه … فجذبه في نشوة ، واندفع كالسهم ، ووقف عند باب الحجرة يسترق السمع …

وانبعثت من جوف الحجرة قبلة صاخبة صفعته في قوة ، فركل الباب بحذائه … وقبل أن يلجه انطلقت أربع رصاصات من فوهة مسدسه أصابت المرمى …

فهدأت ثورته ، وداخلته راحة نفسية ، ولذة غريبة …

وتلفت حوله بعد أن رأى زوجه تنتفض في لجة من الدماء ، فشاهد مخلوقا ممددا على السرير يبتسم في بلاهة تبين فيه طفله الصغير …

شيء واحد أطار صوابه وجعله يهذي كالمحموم ، هو … أنه بعد وقوع الحادث بقليل سمع وقع أقدام تهبط على الدرج من الطابق العلوي للمنزل يقطعه صوت رقيق …

— آه … تذكرت يا صلاح ! إن السيدة التي تقطن الشقة التي تحت شقتنا قد تسلمت الرسالة … كما حدث في الرسالة السابقة لتشابه اسمينا !!

عبد القادر حميدة